جامعة الدكتور يحي فارس بالمـــــــدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم:التاريخ

مجتمع مدينة قسنطينة في القرنين 16 و 17م من خلال المصادر المحلية.

" مخطوط الهداية في كشف حال من أدعى العلم و الولاية لإبن الفكون - نموذجا - "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الدولة العثمانية 1453-1924

-إعداد الطالبتين:

- أماني هديل فتاك

- أمال قادي

إشراف الدكتور:

- د. حميد قريتلي

السنة الجامعية: 2024/2023



شكر وتقدير

الحمدلله رب العالمين، حمد الشاكرين

نحمده على عظيم وجميل خصاله

يشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للمشرف الأستاذ الدكتور"**حميد قريتلي**" على توجيهاته ومساعدته في هذا العمل، حيث منحنا قدرا كبيرا من وقته ومتابعة في هذا العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة لقبول مناقشة هذه المذكرة وأيضا لا يفوتني أن أشكر جميع أساتذة قسم التاريخ لتقديم المساعدة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأخت سماح على مساعدتنا .

و في الأخير أتقدم بالشكر إلى كل من أمدني بيد العون من قريب أو بعيد طيلة مشواري.

الإهداء

من قال أنا لها "نالها"

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون

لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات لكنني فعلتها ونلتها.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر

إلى حلما طال انتظاره وقد أصبح واقعا افتخر به.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل فخر وعلمني العطاء بدون مقابل، ودعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل، لقد فعلتها **"كحلوشتك"**. ملاكي في الحياة **أبي الغالي**

إلى ملاكي الطاهر وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية **أمي غاليتي**، أهديك هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله اصطفاك لي من البشر أما يا خير سند وعوض.

إلى من قيل فيهم: "سنشد عضدك بأخيك"، مصدر قوتي الداعمين الساندين لي، إلى ضلعي الثابت والأمان إخوتي **صلاح، هارون، زكرياء** ، وأخواتي **سماح وفرح**، وأخت لم تلدها أمي والتي أصبح من الصعب إيجاد شخص مخلص يمتلك النقاء والبراءة التي يتحلى بها قلبك **"ياسمين"**

إلى سندي ومسندي حبيبة قلبي **جدتي الغالية** أطال الله في عمرها.

إلى رفيقة المشوار وأختي الكبرى **أمال (عفاف)**

إلى من أفاضوني بمشاعرهم ونصائحهم عائلتي الكريمة **"فتالك"** و**"مكيد"** كل باسمه

إلى أصدقاء السنين وأصحاب الشدائد وملهمي نجاحي، إلى من قدموا لي يد العون عند حاجتي والذين يعتبرون أصدقاء عشرتي **"صبرينة "** وجنود الخفاء : **فص.أ.ر.ع** وإلى **أساطير الجيش الانكشاري**

أماني.هديل

الإهداء

بإسم من رفع السماء بغير عمد، وبإسم البارئ المصور.

قبل كل شئ، أحمد من لا إله سواه، وأشكره أن من علي بإكمال هذا العمل المتواضع،

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني ومنحتني الحياة وأحاطتني بحنانها وحرصت على تعليمي بصبرها وتضحيتها

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي "أمي" الغالية، حفظها الله.

إلى الذي دعمني في مشواري الدراسي، وكان وراء كل خطوة حذوتها في طريق العلم والمعرفة، "أبي" الغالي حفظه الله.

إلى حبيب قلبي ورفيق دربي وسندي في الحياة "زوجي الغالي".

إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي قرة عيني : "إلياس، فراس، رياض.

إلى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي إخوتي أمين وكريم وسليم وأنس

إلى الأخت الحنونة رفيقة مشواري ورفيقة عملي "أماني".

إلى كل عائلة خالي لخضر وإلى كل من ضاقت الأوراق بحمل أسمائهم ورحب القلب بوسعهم.

إلى كل عائلة قادي وعائلة فتاك إلى كل من يعرفني(عائلة بحري)

أمال


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

❖ مقدمة:

تعد دراسة التاريخ المحلي من أهم المجالات التي تساهم في فهم عمق المجتمع وتطوره عبر العصور،وإن دراسة مجتمع مدينة قسنطينة، أحد أهم المدن الجزائرية ذات التاريخ العريق، تتطلب الرجوع إلى مصادر محلية موثوقة تعكس الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي للمدينة عبر فترات زمنية مختلفة، ومن بين هذه المصادر تبرز أعمال العلماء والأدباء المحليين الذين وثقوا بأقلامهم جوانب مختلفة من الحياة اليومية لمدينتهم.

في هذا السياق، يأتي عبد الكريم بن الفكون (ت. 1669م) كنموذج بارز لدراسة مجتمع مدينة قسنطينة في فترة زمنية حساسة.

لقد كان ابن الفكون عالماً وفقيهاً ومؤرخاً، وله العديد من المؤلفات التي تناولت مختلف جوانب الحياة في قسنطينة، حيث توفر أعماله نظرة شاملة ومفصلة على تركيبة المجتمع وعاداته وتقاليده، بالإضافة إلى الأحداث السياسية والدينية التي أثرت فيه.

- **أهمية الدراسة:**

تبرز أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب:

أولاً تساهم في تسليط الضوء على مدينة قسنطينة كواحدة من المدن ذات التاريخ الغني في الجزائر، مما يعزز فهمنا للتراث الثقافي والتاريخي للمنطقة.

ثانياً، من خلال تحليل مؤلفات عبد الكريم بن الفكون عامة ومخطوط "منشور الهداية" خاصة، يمكننا استكشاف تفاصيل دقيقة حول الحياة اليومية والأنماط الاجتماعية التي كانت سائدة في قسنطينة، وهو ما يساهم في بناء صورة شاملة ومتكاملة عن المجتمع في تلك الفترة.

- **أسباب اختيار الموضوع:** تم اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب من أهمها:

ندرة الدراسات التفصيلية حول مجتمع قسنطينة: في الفترة التي عاش فيها ابن الفكون :معظم الدراسات تركز على الجوانب العامة للتاريخ الجزائري، بينما تهدف هذه الدراسة إلى تقديم نظرة متعمقة على مجتمع محدد في فترة زمنية معينة.

أهمية ابن الفكون كمصدر محلي موثوق: يعتبر ابن الفكون أحد أبرز علماء قسنطينة، وأعماله توفر مادة غنية بالمعلومات التي تعكس واقع المدينة وتطورها.

الحاجة إلى فهم التأثيرات الاجتماعية والسياسية والدينية على تطور المجتمع القسنطيني: تحليل أعمال ابن الفكون يمكن أن يكشف عن كيفية تفاعل المجتمع مع الأحداث الكبرى وتأثيرها عليه.

المساهمة في حفظ التراث الثقافي والتاريخي: دراسة وتوثيق أعمال العلماء المحليين يساعد في الحفاظ على التراث الثقافي ويعزز الوعي بتاريخ المنطقة.

- **منهج الدراسة**

تعتمد هذه الدراسة على منهج تاريخي تحليلي، يستند إلى استقراء وتحليل المصادر التاريخية المتمثلة في أعمال عبد الكريم بن الفكون. وسيتم إتباع الخطوات التالية في البحث:

- **جمع المصادر والمراجع:** بحث عن مؤلفات ابن الفكون والمصادر الأخرى التي تناولت حياته وأعماله، بالإضافة إلى الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ قسنطينة في الفترة ذاتها.
- **تحليل النصوص:** قراءة وتحليل النصوص التاريخية لابن الفكون، مع التركيز على الأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تناولها.
- **استخلاص النتائج:** تحليل النتائج المستخلصة من النصوص، وتقديم صورة شاملة عن مجتمع قسنطينة من خلال منظور ابن الفكون.
- **تقديم التوصيات:** بناء على النتائج، سيتم تقديم توصيات للمزيد من البحث في هذا المجال، وطرق الاستفادة من هذه المعلومات في الدراسات المستقبلية.

- **إشكالية الدراسة:**

انطلاقا من الدوافع سابقة الذكر ارتأينا التطرق إلى الموضوع محاولين دراسته في جوانب إجتماعية وفقا للإشكالية التالية:

ما هي ملامح الواقع الاجتماعي ببايلك قسنطينة خلال القرنين 16-17 م؟ وإلى أي مدى استطاع مخطوط "منشور الهداية" في كشف حال من أدى العلم والولاية لابن الفكون أن تعطينا صورة واضحة عن المجتمع بالبايلك؟

- **خطة الدراسة:**

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة، قسمنا عملنا هذا بعد أن جمعنا مادته العلمية إلى: مقدمة، مدخل وثلاث مباحث وخاتمة واتبعناها بملاحق.

أما المدخل فخصصناه للتحدث عن الأوضاع العام في بايلك قسنطينة خلال القرنين (16-17)، فتحدثنا عن الوضع السياسي والثقافي والديني فيها، مع الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

أما المبحث الأول فكان بعنوان عبد الكريم فكون وعصره، تناولنا فيه التعريف بالكاتب من حيث مولده و نسبه والعوامل المؤثرة في ثقافته، وعرفنا كتابه المدروس.

أما المبحث الثاني فقد خصصناه لدراسة الواقع الاجتماعي من خلال المخطوط، الفئة الاجتماعية والأسرة والتعليم.أما بالنسبة للمبحث الثالث والأخير فقد كان تحت عنوان الواقع الصحي في بايلك قسنطينة تحدثنا فيه عن الأمراض والأوبئة بالبايلك وأساليب وطرق الوقاية والعلاج من الأمراض، و قد أنهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم ما توصلنا إليه.

و قد اعتمدنا في سبيل انجاز هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع المهم، منها مؤلفات الفكون و التي من بينها :

1. منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية و هو واحد من أهم مؤلفات الفكون التي حققها الدكتور سعد الله،حيث أنهى المؤلف كتاباته بعد 1045هـ وتناول فيه أهم تراجم للشخصيات صنفها على ثلاثة فصول، العلماء ثم أدعياء العلم الموصول إلى المناصب و أخيرا الدجاجلة الكذابين.
2. محدد السنان في نحور إخوان الدخان و هو مخطوط قسنطيني يقع في 29 ورقة و قد انتهى الفكون من تأليفه عام 1025هـ قد عالج هذا المخطوط ظاهرة التدخين و أعطانا صورا عن الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بقسنطينة .
3. كتاب نوازل محمد الفكون المتوفي عام 1114هـ و هو عبارة عن مخطوط يقع في 295 ورقة ، لم يذكر تاريخ الانتهاء من كتابته و هو عبارة عن فتاوى لنوازل تعطينا إشارات عن الحياة السياسية ، الاجتماعية ، والثقافية و الاقتصادية خلال هذه الفترة في قسنطينة .
4. مجاعات قسنطينة ، ابن العنتري صالح ، تحقيق و تقديم رابح، و الذي يعد أهم مصدر تناول المجاعات و تأثيرها على السكان في البايلك و رغم أن الكتاب متأخر نوعا ما و لكم

لا يمكن الاستغناء عليه نظرا لما يحمله من معلومات في الجانب الاجتماعي و لكنه يعتبر مصدرا من الدرجة الثانية لان صاحبه لم يعش الفترة و إنما كتب عنها .

5. فريدة المنسية في حال دخول الترك قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، ابن العنتري محمد بن صالح، مراجعة و تقييم و تعليق، يحي بوعزيز، و هذا المصدر من المصادر التي لا يمكن للباحث في تاريخ بايلك قسنطينة أن يستغنى عنه فهو مصدر تعددت مواضيعه و تنوعت أهميته من سياسية إلى اقتصادية إلى اجتماعية .

- صعوبات البحث:

يعد بحثنا كغيره من البحوث العلمية التي لاتخلو من عراقيل و صعوبات تواجه الباحث تمثلت في :

1-قلة المادة العلمية لندرة المصادر خاصة فيما يتعلق بالحياة الشخصية للفكون إلا بعض الإشارات المتناثرة هنا و هناك بين مؤلفاته .

2- وجود جزء كبير من المعلومات حول شخصية الفكون و عائلته منشورة باللغة الأجنبية مع ضرورة ترجمتها.

3-قلة المصادر التاريخية المحلية منها و الأجنبية و هذا خلال فترة القرنين (16-17م) و التي تمثل مرحلة انتقائية في تاريخ الجزائر، وخاصة المتعلقة بالقرن السادس عشر ميلادي (10ه) فهي تكاد تكون نادرة و هذه الندرة مست مختلف المصادر المطبوعة منها أو المخطوطة و حتى المتعلقة بالوثائق الأرشيفية .

مدخل:

الأوضاع العامة لبايلك قسنطينة

ق(16-17)

- تمهيد.

1. الوضع السياسي والثقافي والديني في قسنطينة.

2. الوضع الإجتماعي والإقتصادي.

مدخل: الأوضاع العامة لبايلك قسنطينة

- **تمهيد:**

تشكل الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى القرن السابع عشر مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر، إذ شهدت تغيرات جوهرية على الصعيدين السياسي والاجتماعي.

في هذا السياق، تبرز قسنطينة كإحدى المدن الرئيسية التي لعبت دورا بارزاً في تاريخ المنطقة، وخاصة في فترة حكم البايلك العثماني.

يهدف هذا المدخل إلى استعراض الأوضاع العامة لبايلك قسنطينة خلال هذه الفترة، مركّزاً على الأبعاد السياسية، الثقافية، الدينية، الإجتماعية، والإقتصادية. حيث سنتطلع إلى استكشاف المزيد من التفاصيل الدقيقة التي توضح تأثير هذه الأوضاع على قسنطينة وسكانها، وكيف ساهمت في تشكيل تاريخ المدينة عبر العصور.

1. الوضع السياسي، الثقافي والديني في قسنطينة:

1.1 الأوضاع السياسية:

ظلت قسنطينة تحت سيطرة الدولة الحفصية التي أولتها اهتماما بالغا نظرا لموقعها الاستراتيجي على حدود السلطنة الحفصية من الجهة الغربية وكونها ملجأ للمنتفضين ضد سلطات تونس. ولكن خلال القرن الثامن الهجري، فقدت الدولة الحفصية بريقها وقوتها بسبب القتال على العرش بين الأمراء الحفصيين والهجمات المتكررة من جيرانهم الزيانيين وبني مرين والقبائل العربية. هذه القبائل، مثل قبيلة الذواودة المتفرعة من رياح الهلالية، كانت ترفض دفع المغرم المطلوب منها، مما دفع الحفصيين إلى محاربتها. في عام 792هـ، أنفق أبي العباس الحفصي 80 ألف دينار في حربه ضد الذواودة[1]. بعد وفاة السلطان أبي عمرو عثمان، ازدادت الفوضى، وتراجعت هيبة الدولة. تولى السلطان أبو زكريا بن محمد المسعود الحكم، لكنه واجه تمردا من الجنود والأعراب[2].استبد بالملك ابن عمه أبو محمد عبد المؤمن لفترة قصيرة، قبل أن يعود السلطان أبو زكريا ويستقر في

[1] ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية تحقيق محمد الشاذلي النيفر الدار التونسية للنشر، تونس 1968م ،دون رقم الطبعة ،ص187.

[2] محمد بن ابي دينار: المؤنس في اخبار افريقية و تونس ،تونس ،1967، دون معلومات حول الطبع،ص160 .

الحكم حتى وفاته[1]. خلفه محمد بن الحسن بن محمد المسعود، الذي واجه هزائم متعددة من الأعراب وانسحب إلى تونس، مما أدى إلى تراجع تأثير الدولة الحفصية بشكل كبير.[2]

خلال ا لقرن السادس عشر، فقدت السلطنة الحفصية أجزاء كبيرة من أراضيها. دخل السلطان أبو العباس عبد العزيز في صراع مع أخيه أبي بكر، حاكم قسنطينة، على حكم بجاية، لكن الإسبان احتلوا المدينة. زاد تأثير القبائل العربية، وكان ملك ورقلة يدفع خراجا مرتفعا لها. ظهرت القبائل الأخرى، مثل الذواودة، كقوة رئيسية في المنطقة. عندما ظهر الأتراك، كانوا يسيطرون على قسنطينة وتمكنوا من جمع 10 آلاف فارس[3]. حققت القبائل المختلفة،مثل الحراكة والحنانشة والنمامشة، استقلالاً نسبيا في مناطقها. وفي الغرب، عانى الزيانيون من ضعف شديد بعد سقوط الأندلس الإسلامية ودخلوا تحت الحماية الإسبانية.[4]

في مواجهة هذا الوضع، استعان الأهالي بالأخوين عروج وخير الدين من الأتراك. تمكنوا من طرد الإسبان من جيجل واستخدموها كنقطة انطلاق للسيطرة على الجزائر. في عام 1521، سيطر خير الدين على القل ثم عنابة وقسنطينة، ووضع حاميات من الإنكشارية في المدن. كان قائد

[1] احمد بن الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الشركة الوطنية و التوزيع الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس ،1967، دون رقم ط، ج7 ص ص 61، 62 .

[2] مولود قايد ،البربر عبر التاريخ من الكاهنة الى العهد التركي ،منشورات ميموني ،الجزائر، 2007، دون ط ، ص 236.

[3] صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي ، (1514–1830) ، دار هومة ، الجزائر، 2005 ، ط1 ،ص 10.

[4] محمد صالح العنتري ، فريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانهم ، مراجعة يحي بوعزيز ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون ط ،1991 ، ص 27 .

حامية قسنطينة يدعى يوسف، الذي أقام علاقات جيدة مع السكان المحليين، خاصة الشيخ الفكون وأولاد يعقوب الذواودة، الذين زودوا الأتراك بالمؤن مقابل البارود بعد انسحاب خير الدين من تونس، منعت قواته من دخول قسنطينة، لكنه حصل على المؤن الكافية للجيش. عندما تولى حسن أغا البحرية العثمانية، وضع عدة حاميات تركية في المنطقة. لعب الصراع بين القبائل دورا كبيرا في عدم استقرار الأتراك بالمنطقة، وفي النهاية تم التوصل إلى اتفاق يقضي باستقرار الحنانشة في شرق البلاد والذواودة في غربها.[1]

تولى صالح رايس السلطة في عام 1552 وقام بحملات ضد تقرت و ورقلة واستعاد بجاية من الإسبان. عندما عاد حسن ابن خير الدين إلى السلطة، قام بتنظيم إدارة البلاد وتقسيمها إلى أربع مقاطعات. خلال فترة حكمه، واجهت قسنطينة اضطرابات ومناوشات بين السكان والجنود الإنكشارية[2]. في عام 1567، عين رمضان تشولاق باي على قسنطينة، وتقرر تكوين وفد إلى الجزائر لبحث الأوضاع، لكن القسنطينيين خلعوا البيعة وعمت الفوضى[3]. تم تعيين علج علي

[1] محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص27.

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 7 ،1994، ج 3، ص ص93-94 .

[3] محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 30.

بايلربايا على الجزائر في عام 1568، الذي حاول مساعدة المسلمين في الأندلس واسترجاع تونس والقضاء على الدولة الحفصية.[1]

عين علج علي رمضان كبديله في عام 1574، وحقق انتصارات عديدة، منها استرجاع تونس وطرد الإسبان. في عام 1578، تعرضت الجزائر لفترة جفاف وقحط شديدين، وانتشرت الفوضى بسبب نقص الموارد[2]. خلال فترة حكم حسن فتريانوا، حاول تعزيز موارد الدولة من خلال فرض ضرائب على الغنائم واحتكار القمح. في عام 1580، خلفه جعفر باشا، الذي قام بحملة ضد سلطان المغرب وساهم في الانتصار في معركة القصر.[3]

في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، أصبحت الجزائر أكثر تعقيداً بسبب الصراعات الداخلية والتدخلات الأجنبية. ألغت الدولة العثمانية منصب البايلر باي واستبدلته بنظام الباشوات، الذين كانوا يديرون المقاطعات بامتيازات واسعة، لكن مدة تعيينهم القصيرة أدت إلى آثار سلبية. تعرضت البلاد للأوبئة والمجاعات والحملات العسكرية من القوى الأوروبية. خلال هذه الفترة، لعب الإنكشارية دورا رئيسيا في النظام السياسي، واختلقوا الفتن ضد الباشوات لتحقيق

---

[1] R.REDA ET CHIALI، L'EPOPEE DE EULDJ –ALI RAIS، LE GREND KETELCH ALI PAPA (1587-1507)EDITION DAHLEB ALGERIE ،P،P 56،57، 59 ، 71 ،

[2] عزيز سامح ألتر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1989، ص258.

[2] DIAGO DE HAEDO ، HISTOIRE DE LA ROIS D'ALGER ، T:HENRI DE GRAMMONT ، EDOTION GRAND DALGER LIVRES ، 2004 ، P، P ، 169 ، 172 .

3ألتر ،المصدر السابق ،ص190 .

مصالحهم. مع مرور الوقت، أصبحت الجزائر تحت سيطرة الباشوات، وواجهت تحديات عديدة من الداخل والخارج[1].

في عام 1642، اندلعت ثورة أولاد عبد المؤمن ضد الأتراك، وتمكنت القوات التركية من تحقيق بعض الانتصارات، لكنها واجهت مقاومة شديدة من القبائل المحلية. تم توقيع اتفاقيات جديدة لتحديد الحدود بين الجزائر وتونس، وعقدت تحالفات مؤقتة مع القبائل لضمان الاستقرار. على الرغم من التحديات، تمكنت الدولة العثمانية من الحفاظ على السيطرة على الجزائر خلال هذه الفترة، لكن الصراعات الداخلية والخارجية استمرت في تشكيل الأوضاع في المنطقة.[2]

2.1 الأوضاع الثقافية والدينية:

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، شهدت قسنطينة تطورات ثقافية ودينية هامة تعكس تنوع وثراء المجتمع في تلك الفترة. كانت المدينة مركزًا للتعليم والثقافة الإسلامية، حيث ازدهرت المدارس والزوايا التي كانت تُدرِس العلوم الدينية واللغة العربية. العلماء والشيوخ كانوا يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع، وكانوا يساهمون في نشر المعرفة وتعليم الأجيال الشابة. من أبرز

[1] ألتر ، المصدر السابق ، ص 310 .

[2] ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص 38 .

الشخصيات في ذلك الوقت كان الشيخ عبد الكريم الفكون، الذي لعب دورا رئيسيا في التعليم الديني وتوجيه المجتمع.[1]

الزوايا كانت تلعب دورا مركزيا في الحياة الدينية والاجتماعية، حيث كانت تجمع بين وظائف التعليم والتصوف والخدمات الاجتماعية. الزوايا كانت تحتضن الطلبة وتوفر لهم الإقامة والتعليم، بالإضافة إلى تقديم الدعم للفقراء والمحتاجين. التصوف كان يشكل جزءا هاما من الحياة الروحية، وكان يمارسه العديد من سكان المدينة عبر الانخراط في الطرق الصوفية المختلفة التي كانت تتواجد في قسنطينة.[2]

الإسلام كان الدين السائد في قسنطينة، وكان له تأثير كبير على الحياة اليومية لسكان المدينة. الأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى كانت مناسبات مهمة يتم الاحتفال بها بشكل جماعي، وتعزز الروابط الاجتماعية بين الأهالي. المساجد كانت مركز الحياة الدينية، حيث كانت تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة، وكانت أيضا مكانا للقاء والتشاور بين أفراد المجتمع.[3]

[1] المهدي شعيب ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985، ص 332

[2] عبد الكريم ابن الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987 ، ص110 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1998 ، ج1 ، ص305.

رغم ذلك، لم تخل هذه الفترة من التحديات. الصراعات السياسية والاضطرابات الداخلية التي شهدتها المنطقة أثرت على الاستقرار الاجتماعي والثقافي. الغزو الإسباني، والهيمنة العثمانية، والتوترات بين القبائل المختلفة، كلها عوامل أدت إلى فترات من الاضطراب وعدم الاستقرار. ومع ذلك، ظل المجتمع متمسكًا بتقاليده وثقافته، واستمر في الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية التي تميزت بها قسنطينة عبر العصور.[1]

التعليم والثقافة في قسنطينة لم تكن محصورة فقط في العلوم الدينية، بل شملت أيضا العلوم والفنون الأخرى. كانت هناك جهود لتعزيز المعرفة في مجالات مثل الطب والفلك والأدب، حيث كان العلماء يعملون على ترجمة وتطوير المعرفة العلمية التي ورثوها من الحضارات السابقة. هذا التنوع الثقافي والعلمي ساهم في إثراء الحياة الفكرية في قسنطينة وجعلها واحدة من المراكز الثقافية المهمة في المنطقة خلال تلك الفترة.[2]

باختصار، كانت قسنطينة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تشهد حياة ثقافية ودينية نشطة ومزدهرة، رغم التحديات السياسية والاضطرابات الاجتماعية. تمسك سكان المدينة بالقيم

[1] عبد الكريم ابن الفكون ، المصدر السابق ، ص ص 57 ،58 .

[2] عبد الكريم ابن الفكون ، المصدر السابق، ص 58.

الإسلامية والتقاليد الثقافية، واستمروا في تطوير المعرفة والتعليم، مما ساهم في الحفاظ على هوية المدينة وتقديمها كمنارة للعلم والثقافة في المنطقة.[1]

2. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

1.2 الأوضاع الاجتماعية:

شهدت الجزائر عامة وقسنطينة خاصة تنوعاً عرقياً كبيراً، خاصة بعد ارتباطها بالحكم العثماني. تأثرت الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة بالهجرة الأندلسية، والتي تركزت في المناطق الساحلية. الأندلسيون لعبوا دوراً كبيراً في الجهاد ضد الإسبان، ونقلوا حضارتهم إلى الوطن، مما أضفى على الحياة الحضارية في قسنطينة مزيداً من الرقي. لا يزال ميراثهم موجوداً حتى يومنا هذا. بالإضافة إلى ذلك، حقق العنصر العثماني مكانة مرموقة في قمة الهرم الاجتماعي على الرغم من قلة عددهم. وانتشر الفكر الروحي والثقافي بفضل هذا التنوع.[2]

وجود المسيحيين في قسنطينة كان أقل أهمية من العثمانيين والأندلسيين، لكن تأثيرهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كان واضحاً. منح صالح باي اليهود ثقة كبيرة، مما شجعهم على التطور والرقي. بنوا الأسواق والدكاكين وارتبطوا بالتجارة، مما جعلهم يحققون ثروة كبيرة. أصبحت التجارة تحت سيطرتهم، وارتبطوا بالشركات العملاقة مثل الشركة الأفريقية، مما منحهم قوة

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 306

[2] المرجع نفسه، ص 148 .

اقتصادية كبيرة في المضاربة والاحتكار. رغم حصول اليهود على امتيازات كبيرة، خاصة الأشراف منهم، إلا أن دورهم السياسي كان ثانوياً بعد تورط سكان الريف في مطلع القرن التاسع عشر.[1]

اليهود كانوا عنصراً مهماً في فئة الدخلاء بسبب نشاطهم الكبير في التجارة وصناعة الذهب وصك النقود. الفئات المختلفة التي دخلت إلى المنطقة أدخلت العديد من العوامل والنتائج التي منحت المنطقة مكانتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. أهلت هذه الفئات قسنطينة لتحقيق العديد من النجاحات، بفضل دورها الفعال والإيجابي في السيطرة على مختلف القطاعات. وقد أعطى هذا التوزيع قسنطينة العديد من الخبرات التي جعلتها تستقطب العديد من المدن.

بفضل هذا التقسيم، كان العلم والشؤون الدينية في أيدي الحضر، بينما كانت الاقتصاد والتجارة في أيدي الحضر، الكراغلة، واليهود. هذا التوزيع ساهم في إنتاج منتجات أكسبت الجزائر مكانتها خلال الفترة العثمانية وما بعدها.[2]

2.2 الأوضاع الاقتصادية:

بايلك الشرق احتل مكانة بارزة نظراً لموقعه الاستراتيجي ومواصفاته الجغرافية والإمكانات الطبيعية المتعددة التي أسهمت في تنوع مناطقه المناخية والتضاريسية. انعكس هذا التنوع على مناخها وتضاريسها، مما منحها تكاملاً بين واقعها الطبيعي والنشاط البشري والاقتصادي لسكانها.

[1] فيلالي عبد العزيز ، مدينة قسنطينة (تاريخ ،معالم ، حضارة)، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، ص 168.
[2] سعيدوني ،المرجع السابق ، ص 102.

يمكن تقسيم بايلك الشرق إلى ثلاثة أقسام على أساس مناخي وتضاريسي: المنطقة الساحلية، المنطقة الوسطى، والمنطقة شبه الصحراوية. تختلف كل منها عن الأخرى من ناحية المناخ والتضاريس والإمكانات الطبيعية.[1]

بعض الكتاب يصفون بايلك الشرق بالمملكة الحقيقية، حيث تفوقت على بايلك التيطري وكوارة من حيث عدد سكانها الكبير ومساحتها الشاسعة وحركتها الاقتصادية الكثيفة ومناخها المعتدل في بعض المناطق، مما أكسبها خصائص إيجابية عديدة.[2]

مدينة قسنطينة شهدت حركة اقتصادية هامة في العهد العثماني، واستطاعت بحيويتها أن تكون مركز استقطاب للعديد من الجاليات، بعد نزوح سكانها بحثاً عن فرص العمل والاستقرار. غلب النشاط الفلاحي على النشاط الصناعي، فأصبحت الزراعة المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان، كما أصبحت تربية المواشي حرفة مكملة لزراعة أراضي العرش.[3]

النشاط الزراعي احتل مكانة هامة في اقتصاد بايلك الشرق، خاصة في السنوات الأخيرة من العهد العثماني، وقد ساعد على ازدهاره وتنوع محصولاته الشروط الطبيعية المتوفرة مثل الأحوال

---

[1] الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830 ،ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص 60.

[2] الزبيري محمد العربي ، المرجع نفسه ، ص 60 .

[3] بن خروف عمر ، العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ما بين الجزائر و المغرب في القرن 10 هـ (16م) ، ج2 ،دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، 2008 ، ص 26 .

المناخية الملائمة كالتربة الخصبة والمياه الكافية. كان للساحل دور كبير في ربط الزراعة وتنمية الإنتاج الفلاحي كبديل للقرصنة في ظل تدهور مواردها، مما جعل من الشرق المنطقة الأكفأ في الإنتاج الزراعي.[1]

الورثاني يصف زراعة قسنطينة بأنها واسعة الأراضي وكثيفة الارتفاع، مما جعل الإنتاج وفيراً ومتعدد الأنواع مثل اللحم والسمن والقمح والتوت. الموقع الاستراتيجي للمنطقة، الذي يشمل مدن ساحلية مثل عنابة وسكيكدة وجيجل ومدن داخلية مثل قسنطينة وسطيف، يتميز بجو معتدل وأمطار منتظمة، مما يؤثر إيجابياً على استغلال الأراضي الزراعية.[2]

وصفت المنطقة بأنها عبارة عن مطمور كبير للحبوب بفضل خصوبة الأرض، حيث يحفظ فيها غلة القمح لأكثر من مائة سنة دون أن يصيبها أي فساد. كما كانت وفيرة بالعسل والسمن الذي يصدَّر إلى أماكن مختلفة. المطامير كانت في المناطق الآمنة حيث الطواحين المائية والحيوية بالقرب من المدن، وأنشأت المخازن لحفظ الزبدة والزيت والحبوب.[3]

---

[11] الوزان حسن ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 1، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983، ص58 .

[2] المصدر نفسه ، ص 59.

[3] بلخوص الدراجي ،الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين (16-17م) ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ جامعة الجزائر 2، الجزائر ،ص101.

تربية المواشي كانت حرفة مكملة للزراعة في أراضي العرش الجماعية لدى سكان الهضاب العليا القسنطينية وغيرها. المنطقة الواقعة بين الأطلس التلي والصحراوي مثل شط الحضنة والجلفة الغربية كانت الرئيسية لتربية المواشي وخاصة الضأن منها. تربية المواشي من أغنام وجمال كانت ذات أهمية خاصة لسكان جنوب الأطلس الصحراوي في فترة حكم صالح باي، حيث كانت مصدرا واسعا للاستهلاك ووسيلة للسفر ونقل الأثقال والبضائع والأعمال الزراعية.[1]

سكان النمامشة لم يفلحوا الأرض بل اعتمدوا على الرعي كوسيلة رئيسية للعيش في البيئات السهبية. قبائل أولاد عبد النور في الشمال يزرعون في أراضيهم الخصبة، بينما في الجنوب الأكثر دفئاً والأصلح للرعي يقيمون لسد حاجاتهم من الألبسة الصوفية والزرابي والأغطية والخيام واللحوم. بايلك قسنطينة كان يضم عدداً هائلاً من رؤوس الأبقار والماعز والخيول والبغال والحمير.[2]

أما الصناعة، فقد اعتمدت الصناعات المحلية في بايلك الشرق على تقاليد الماضي لتوفير احتياجات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية. الأسر من الحضر الأندلسيين واليهود لعبت دوراً كبيراً في المحافظة على هذه الصناعات المحلية من الاندثار. الصناعات كانت بدائية

[1] خولة نواري ، نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية،المجلد الثاني، العدد الأول ، يناير 2009 ، ص 298.

[2] عمار عمورة ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار ريحانة للنشر و التوزيع ، جزائر ،2002 ، ص106 .

في طريقة صنعها، بسيطة في نوعيتها، تقليدية في أساسها. النشاط الصناعي كان متواضعاً ولم يتعدى الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة.[1]

صالح باي شجع الصناعة وأصحاب الحرف المختلفة في قسنطينة، مما جعلها تعج بالورش المختلفة والأسواق المزدهرة. الصناعة المعدنية أو الثقيلة لم تشهد تطوراً ملموساً مقارنة بالصناعات المحلية اليدوية، التي كانت تعتمد على المواد الأولية المتوفرة في البلاد وتلبية الحاجات الضرورية للعيش في البوادي والحفاظ على طابع التوارث في المدن. [2]

الصناعة بفرعيها التقليدي أو التحويلي امتازت بخصائص مثل اعتمادها على المواد الأولية المحلية، وتلبية الحاجات الضرورية، وخضوع صناعة المدن الكمالية لتحكم ومراقبة النقابات المهنية، ومنافسة المصنوعات المستوردة. النشاط الصناعي ساهم بشكل فعال في إنعاش الحركة التجارية للبايلك من خلال عملية التصدير رغم بساطته واعتماده على بعض الصناعات المحلية اليدوية والصناعات المعدنية التحويلية البسيطة.[3]

اشتهرت بعض العشائر بمهاراتها في معالجة المواد الأولية لتغطية الحاجات الضرورية، وتنوعت الصناعات التقليدية في المدن من حيث الكمية والنوعية. قسنطينة احتوت على مجموعة

[1] عمار عمورة ، المرجع السابق ، ص 107.

[2] خولة نواري ، المرجع السابق ، ص 288

[3] عمار عمورة ، المرجع السابق ، ص 107 .

من الصناعات المزدهرة في عهد صالح باي مثل الجلود والنحاس والحدادة والحلي والنسيج والخشب وأدوات الطين والخياطة والأدوات الحديدية والطينية والخشبية وغيرها. صالح بأي شجعها ودعمها بكثرة الأسواق والمحلات.[1]

[1] عمار عمورة ، المرجع السابق ، ص 107

المبحث الأول:

عبد الكريم الفكون وعصره

- تمهيد

1- التعريف بالكاتب.

2- التعريف بالمخطوط .

المبحث الأول: عبد الكريم فكون وعصره

تمهيد:

عبد الكريم الفكون، الملقب بشيخ الإسلام. عاش خلال القرن الحادي عشر هجري (17م) في الوقت الذي اشتدت فيه القطيعة بين العالم الإسلامي الجامد والعالم الأوروبي المتحرك، وازدهر فيه التصوف المزعوم والدروشة والأمية والتخلف العقلي في المجتمعات الإسلامية، وكثر فيه أدعياء العلم من الفئة التي كانت تسمي نفسها حامية الشريعة، ومصابيح الظلام، وهي فئة الفقهاء أو المتفقهين، واستولى فيه على مقاليد السلطة حكام جهلة وطغاة وغرباء عن حاجات وأحاسيس المجتمعات الإسلامية التي يحكمونها، وعشش أثناءه الفكر الخرافي حتى كاد المجتمع كله يصبح زاوية صوفية تشيع فيها الحضرة والرقص العصبي والإيمان بالغيبيات والروحانيات.

في هذا الجو ظهر شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، فحمل معول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهد في سبيل الرجوع إلى الدين الصحيح، ونادى بالعمل بالعلم والتعمق فيه وفهم الحياة فهما عقليا، وكشف أحوال المتاجرين باسم التصوف، الصائدين في الماء العكر، أولئك الذين لا هم لهم إلا ملء الجيوب والبطون، وتكثير الأتباع والخدم، عن طريق تضليل عقول العامة والتواطىء مع الخاصة ونصرة الظلمة والمستبدين، وكان الفكون يقوم بهذه الحملة بالدرس في المسجد، والتأليف والمراسلة، والإفتاء.

وقد ناله من ذلك الأذى الكبير، وقلته، كما قال، القلوب والعيون، وتآمر عليه المتآمرون. ولكنه صمد وواجه، لأنه كان يعتبر ذلك من الجهاد في سبيل الله. ومن الآثار التي تركها في هذا الغرض عدة تأليفات ورسائل، منها مخطوط "منشور الهداية" الّذي سنتطرق إليه في هذا المبحث.

1. التعريف بالكاتب:

1.1 مولده ونسبه:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن حيي الفكون، ينتمي لعائلة ذات تاريخ عريق ودور فعال في المجتمع القسنطيني في العهد العثماني، من الناحية المادية تولت العائلة، القضاء والفتوى وإدارة أوقاف الجامع الأعظم. أما من الناحية المعنوية فقد كان ملجأ للهاربين توفر لهم الأمن والحماية.[1]

ولد عبد الكريم في قسنطينة سنة 988هـ /1580م ، كان أول مولود لأبيه محمد، عاش في كنفه الأربعين سنة الأولى من حياته، ينوب عنه في الصلاة بالجامع الكبير. [2]

ولما كان أبوه مدرسا كان أول معلم له بالإضافة إلى قائمة كبيرة من الشيوخ نذكر منهم الأوراسي، وسليمان القشي وعبد العزيز النفاتي ، نشأ في جو تردد علماء تونس والمغرب على مدينة قسنطينة وكذلك زيارات المشارقة، فهو لم يغترب كالمقري لطلب العلم بل اكتفى بثقافته

[1] عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 52 .

[2] المصدر نفسه ، ص 49.

المحلية، رغم أنه كان يرغب في الفرار من الوضع القائم الذي تميز بالفوضى، والظلم والجهل، لأن حالة العالم الإسلامي كانت واحدة.[1]

كان متشددا في الأمور العائلية حيث طلق زوجته، واستقل بداره عن دار أبيه، ومن علماء عصره الذين كان يتصل بهم أحمد المقري وسعيد قدورة.[2]

2.1 تكوينه العلمي:

رغم أن عبد الكريم الفكون ألّف كتبا، إلا أنه كان مدرسا للنحو خاصة، وكان واعظًا بالدرجة الأولى. درس جيلاً من تلاميذه بدار الجامع الكبير الذي كان قريبا من دار العائلة، وكان يهتم بالصلاة والسهر على أوقاف الجامع قبل وفاة والده سنة 1045هـ/1635م، حيث كان عمر عبد الكريم سبعة وخمسين سنة. [3]

وبعد الوفاة، ورث رسميا وظيفة الإمامة والخطابة والتدريس ورعاية أوقاف الجامع، التي كان يتصرف فيها بما يراه صالحا، خاصة وأن الفترة كانت فترة جفاف وجراد وفوضى سياسية. كما أنه تولى إمارة الحج[4].

[1] عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص ص 51، 52.

[2] المصدر نفسه ، ص 76.

[3] المصدر نفسه ، ص 208.

[4] المصدر نفسه ، ص 14 .

أيضا ينطلق ابن الفكون من مقولة "**من أعان ظالما سلطه الله عليه**"، فهو من حارب الظلم بقلمه ودروسه. [1]

وربما هذا ما جعله لا يتحدث عن قضايا عصره السياسية بالقدر الذي اهتم بالقضايا الاجتماعية. قد يرى أن مهمة رجل العلم بعيدة عن السياسة، ولا يرى أن العلم خادم السياسة، على الأقل في عصره، لأنه كان ضد العلماء الذين يتقربون إلى الحكام، بل ويذكر الذين يتحصلون على المناصب الحكومية بالرشوة وطرق الحرام وهم ليسوا أهلاً لها. وهو أيضَا ضد الأولياء والدراويش الذين جعلوا أنفسهم في خدمة الحكام، فلا جنده مادحا للحكام، وفي نفس الوقت لا يرفضهم ولا يؤيد الثورة ضدهم، ولكنه تعاطف مع ثورة شيخه الحي الأورايسي وأبدى عاطفة الأسف على مقتله غدرا. وكان ينظر إلى وظيفة القاضي نظرة تحفظ، لأنها تجعل صاحبها في خدمة الحاكم واحتراف القاضي خراب للأمة.[2]

[1] عبد الكريم الفكون ،منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص76
[2] المصدر نفسه ، ص 76

3.1 أهم مؤلفاته:

ترك الفكون عدة مؤلفات، منها "منشور الهداية" الذي سوف نركز عليه، وكتاب "فتح اللطيف" الذي ألّفه سنة 1048 هـ، و"حمد السنان في حنو إخوان الدخان" الذي يتناول تحريم الدخان، وديوان في مدح النبي، ومؤلف حول مسألة الوقف بعنوان "حوادث فقراء الوقف". كما ترك مجموعة من النوازل التي جمعت ودرست[1].

منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" اهتم به المستشرقون مثل فايستات (Vaysettes) وشاربونو(Charbonneau) ، لكن الدراسة المفصلة كانت بتحقيق الأستاذ أبو القاسم سعد الله.

انتهى عبد الكريم الفكون من تأليف "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" سنة 1046هـ/1636م، حيث يترجم فيه لعلماء قسنطينة وضواحيها (75 ترجمة) في أربعة فصول:

الفصل الأول: خاص بالعلماء والصالحين المقتدى بهم مثل عمر الوزان، الحي الأورايسي، محمد العطار، جده وأبوه، وغيرهم[2].

[1] ابن الفكون، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 18.

[2] المصدر نفسه ، ص34.

الفصل الثاني: مخصص لمن تولوا المنصب الشرعي وهم غير أهل له، ويسميهم بأشباه العلماء.

الفصل الثالث: يتناول تراجم من ادعى الولاية، ويصفهم بالدجالين الكذابين والمتشدقين، المبتدعين، الضالين والمضلين، ومنهم خمسة عشر شخصا اشتهر منهم سيدي قاسم بن أم هانئ، وأحمد بوعكاز.

الفصل الختامي: يذكر فيه إخوان عصره وعلى رأسهم أحمد المقري[1].

ضم "منشور الهداية" معلومات مهمة عن الحياة الثقافية والاجتماعية في الجزائر خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (16 و17م). فهو يسمح لنا بالكتابة في مواضيع مثل: الواقع الثقافي، الحياة الدينية، طرق التدريس والإجازة، أخبار الكتاتيب والزوايا، مراسلات العلماء ونشاطهم، وموقف السلطة من العلماء. كما يعطي إشارات للوضع الاقتصادي السائد مثل الجفاف والقحط والمجاعة (1602-1611 – 1680).

وخلاصة القول، إن ابن الفكون كان ناقدا لعصره ومجتمعه بشكل خاص، فلم يغره شيء، فكان يحرم، ويعظ، ويمدح، ويذم. ركز على الأوضاع الداخلية رغم أنه لم يكن جاهلاً بالأوضاع الخارجية، خاصة قوة الجزائر البحرية.[2]

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ،
[2] المصدر نفسه ، ص95

2. التعريف بالمخطوط :

1.2 المحتوى:

يعتبر "منشور الهداية" أفضل ما ألّفه الفكون، بل وأفضل الكتب المؤلفة في العهد العثماني بالجزائر. فهو ليس مجرد كتاب تراجم بالمعنى التقليدي، ولا هو تخليد لملك أو أمير أو باشا كما فعل بعض مؤلفي ذلك العصر، ولا هو كتاب في التصوف وأحوال الدراويش كما كتب بعض مثقفي تلك الفترة. بل هو كتاب في النقد الاجتماعي والسياسي والديني، ويستعرض أحوال الناس وزعماءهم السياسيين والمثقفين والدينيين، وعلاقات هؤلاء جميعا بعضهم ببعض. [1]

إنه وثيقة حية هامة تعكس حالة ذلك العصر، ويمكن اعتباره نموذجا لما كان شائعا في العالم الإسلامي بأسره في ذلك الوقت، لأن وصفه للأحوال والعلاقات والأفكار ليس خاصا بالجزائر فقط.

أما الكتب الأخرى التي ألّفها الفكون في النحو والصرف والحبس، وكتابه عن تحريم التدخين، وديوانه في المدح النبوي، فقد تجاوزها الزمن وتدرس كأعمال تاريخية، بينما "منشور الهداية" يبقى في نظرنا الكتاب الوحيد الذي سيظل حيا وخالدا لعمق أفكاره[2].

تم ترجمة الفكون في مخطوط يتناول شيوخه من العلماء الصالحين ومن عاصرهم ممن ادعى الولاية والعلم وتواصل مع الأمراء وسعى وراء المناصب الدنيوية. كما تم ترجمة بعض تلاميذه

[1] ابن الفكون ، المصدر السابق، ص 10.

[2] المصدر نفسه ، ص 16.

وأصحابه، بالإضافة إلى تراجم والده وجده وشخصيات أخرى معروفة في قسنطينة، مثل المسبح والموهوب وابن باديس والحركاتي، وابن نعمون، وابن ثلجون، وغيرهم. يعد هذا المخطوط عبارة عن كتاب يتضمن تراجم علماء قسنطينة في القرنين العاشر والحادي عشر، مع ذكر بعض وفياتهم. يحتوي الكتاب على 294 صفحة، ويعتقد أنه من كتابة الفكون نفسه، ويتميز بخطه الجيد. كما يحتوي المخطوط على استطرادات وأخبار مهمة تتعلق بالكتب والسياسة والأحوال الاجتماعية والعلمية في تلك الفترة[1].

إن الفكون قد رتب كتابه على هذا النحو: مقدمة ذكر فيها الدافع الذي دفعه لتأليفه كما سبقت الإشارة، ثم ثلاثة فصول وخاتمة. [2]

أما الفصل الأول فجعل عنوانه "في من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم ومن قبل زمنهم ممن نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترا، أردنا التنبيه عليهم وذكر ما كانوا عليه وزمانهم وتواريخ وفاتهم".. وهذا الفصل، رغم طول عنوانه، قصير نسبيا. [3]

وقد ذكر فيه بعض أفراد عائلته أمثال يحيى الفكون وقاسم الفكون وجده عبد الكريم الفكون ووالده محمد الفكون وجده لأمه محمد بن قاسم الشريف. كما ذكر فيه عمر الوزان، ويحيى الأوراسي، ومحمد العطار، وأحمد الغربي، ومحمد الكماد، وعلي بن يحيى الياورارى، وأحمد بن تكفه،

[1] ابن الفكون ، المصدر السابق ،ص 15

[2] المصدر نفسه ، ص 56.

[3] المصدر نفسه ، ص 58

ومحمد بن حسن، وعبد اللطيف المسبح، وأحمد (حميدة) المسبح، وبركات المسبح، وعلي المرواني، وعلي الغربي، وأبو القاسم العطار، وأحمد بن باديس، وبركات بن سعيد، وشيخاه محمد التواتي وسليمان القشي النقاوسي، وعبد العزيز النفاتي، ومحمد الفاسي. ولم يذكر تواريخ الوفاة، كما قال، إلا لعدد قليل منهم. أما البقية فأماكن التواريخ لوفاتهم ظلت بيضاء في النسخة التي بين أيدينا. وكان المفروض أن يذكر تواريخ الوفاة لأن هؤلاء متقدمون عليه أو توفوا أثناء حياته. أما الذين سيتحدث عنهم في الفصلين الباقيين والخاتمة فكانوا معاصرين له ومعظمهم كانوا أحياء عند تأليف الكتاب[1].

أما الفصل الثاني فقد جعل عنوانه:"في المتشبهين بالعلماء، وهم الذين قصدنا بهذا التقييد إيضاح أحوالهم".. ومن أجل ذلك كان هذا الفصل أطول من سابقه لأن الفكون أخذ يعالج ما قصده في الكتاب. [2]

وقد تحدث فيه عن مجموعة من الناس لا يتسع الأمر الآن لذكر أسمائهم جميعا. ونود أن نوضح ما جاء في صفحة 35 من المخطوط حين بداية الحديث عنهم ما أضافه الفكون نفسه من بيان لما سبق وهو قوله (فيمن تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم، وهم كل من ادعى ما لا يصح له من خطة وتدريس وغيرهما)[3].

---

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق، ص23

2 المصدر نفسه ،ص23

3 المصدر نفسه ،ص23.

وهو يقصد بالمنصب وبالخطة الوظائف الرسمية كالقضاء والفتوى. وقد افتتح هذا الفصل بالحديث عن يحيى بن محجوبة الذي كان متوليا رئاسة الفتوى، وهو الذي أخبر عنه أنه كان كبير السن ومن معاصري جده، وأنه فصل في خلاف مع والده (والد الفكون) حول مسألة حبس في مجلس بالجامع الكبير، مما أزعج الوالد حتى أنه طلب من ابنه(المؤلف) أن يخرج هو للرد على ابن محجوبة، كما سبق. وعد من هذا الفصل أيضا جده لأمه، محمد بن قاسم الشريف، الذي كان متوليا وظيفة مزوار الشرفاء. وقد تصدر أيضا للفتوى. ويحيى بن باديس، وأحمد الجزيري، وأحمد الغربي، ومحمد السوسي المغربي، ومحمد بن نعمون، وعبد اللطيف بن سعيد، وغيرهم[1].

ويأتي بعد ذلك الفصل الثالث الذي جعل عنوانه) في المبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضية (ومما يذكر أن الفكون أضاف على صفحة ١١٠ من المخطوط حيث عنوان الفصل الثالث، هذا العنوان الإضافي) فيمن ادعى الولاية من الدجاجلة .(وهو نفس المعنى ولكنه فيه بعض التصرف. وقد ابتدأ بأحدهم وهو قاسم بن أم هانىء، وأخبر أنه افتتح به الفصل) لعظم مفسدته بين الخلق وشهرة بدعته وقوتها (وبالطبع أطال فيه الحديث أيضا وذكر منهم أيضا أحمد بوعكاز، ومحمد الحاج الصحراوي والشيخ طراد، وسيدي الجليس، وعبد الملك السناني، وعلي العابد الشابي، إلخ.[2]

[1] ابن الفكون ، المصدر السابق ، ص 102.

[2] المصدر نفسه ،ص102

ومن الغريب أن الفكون وضع الشيخ محمد ساسي البوني ضمن هؤلاء الدجاجلة، لترحيبه بالشيخ المغربي علي خنجل واتخاذه الحضرة وجعله مستحما سماه "حمام أهل الصفاء" إلخ. وقد أطال في الحديث عنه وعن أمره الخرافي[1].

وأخيرا تم الخاتمة التي قال إنه اختار لها عنوانا هو(في إخوان العصر وما هم عليه)، ولكنه في صفحة 234 من المخطوط يغير العنوان قليلا فيصبح (في ذكر من أردنا ذكره من الأصحاب والأحباب)ويقصد بهؤلاء من كان معاصرا له أو ندا،وله معه مراسلات واتصالات شخصية. ولكن هؤلاء لم يسلموا من نقده اللاذع أيضا، وقد جمع في هؤلاء الأصحاب[2] بعض المنتمين للعلماء والمنتمين للمتصوفة أيضا. فنجد الشيخ بلغيث الذي تحول في تونس من العلم إلى التصوف. ونجد الموهوب بن محمد الزواوي، ومحمد وارث الهاروني المتيجي، وعلي بن عثمان الشريف الزواوي، وأحمد بن الحاجة الميلى، ومحمد بن باديس، ومحمد بن ناجي، وأحمد المقري الذي أطال في الحديث عنه ونقده. ثم عددا من التونسيين(مثل إبراهيم الغرياني، وتاج العارفين)، والمولى علي العثماني، وغيرهم.. ولنلاحظ أن أكثر من عدهم أصحابا وأحبابا كانوا من خارج فسنطينة[3].

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص ص 114، 117.

[2] المصدر نفسه ، ص ص 120،123.

[3] المصدر نفسه ، ص ص 10،14.

3.2 تاريخ كتابته:

لم يؤرخ الفكون الانتهاء من تأليف "منشور الهداية"، ولكن يرجح أنه ألفه بعد سنة 1045هـ لأنه تحدث فيه عن وفاة والده التي وقعت في تلك السنة، ولم يذكر تاريخا آخر بعد هذه السنة. والمعروف أنه تولى وظائف أبيه بعد وفاته، وأضاف إليها إمارة ركب الحج ولقب مشيخة الإسلام.[1]

والمعروف أيضا أن ثورة ابن الصخري وقعت سنة 1047هـ، وهي الثورة التي لم يذكرها في "منشور الهداية" رغم تعرضه لثورات وأحداث أقل منها شأنا. لذلك، نرجح أن يكون "منشور الهداية" قد أُلف بين 1045 و1047هـ[2]، ويمكن إذن أن نقول إن تاريخ تأليفه هو سنة 1046هـ، وذلك أقرب الاحتمالات في نظرنا[3].

ولكن الأمر المحير هو أن الفكون ضمن كتابه حديثًا عن أشخاص كانوا أحياء زمن التأليف، كما يفهم من صيغة الحديث، مثل حديثه عن أحمد المقري، بينما نعلم من مصادر أخرى أن هؤلاء الأشخاص قد توفوا قبل ذلك التاريخ المحتمل لتأليف المخطوط. فالمقري مثلاً توفي سنة 1041هـ، بينما لا يشير الفكون إلى هذه الوفاة، ويبقى حديثه عنه في المخطوط بصيغة الحي. وهناك نماذج

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص ص 23،27 .

[2] المصدر نفسه ، ص ص 30،35 .

[3] المصدر نفسه ، ص 16.

أخرى على ذلك، مثل إيراد مراسلاته مع عالمي تونس إبراهيم الغرياني ومحمد تاج العارفين، التي وقعت سنة 1037هـ. [1]

يبقى لدينا احتمالان آخران: أن الفكون ألف الكتاب فعلاً حوالي سنة 1046هـ، ولكنه ضمنه وثائق المراسلات القديمة بتواريخها المتقدمة، أو أنه كان قد بدأ في تأليف الكتاب في تاريخ سابق قد يكون بدأ في تأليفه منذ سنة 1033هـ واستمر في الإضافة عليه والعمل فيه حتى سنة 1046هـ. ومع ذلك، نميل إلى الاحتمال الأول، وهو أنه ألف المخطوط سنة 1046هـ وضم إليه وثائق وأخبارا بصيغها القديمة[2].

1.3 أهميته في الجانب الاجتماعي:

المخطوط كما أشرنا في البداية، يعتبر وثيقة لا غنى عنها لدارس الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في القرنين العاشر والحادي عشر (16، 17 م)، وله أهمية تمتد إلى وقتنا الحاضر.

فالعائلات والأفكار والاتجاهات والزوايا التي ذكرها المخطوط ما زالت حاضرة بيننا حتى اليوم

تبقى أهمية مخطوط "منشور الهداية" في أنه ليس كتاب تراجم بالمعنى التقليدي ففيه لمسات إنسانية وأخبار طريفة وآراء شخصية أيضا[3]

---

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ،ص 17 .

[2] المصدر نفسه ، ص19 .

[3] المصدر نفسه ، ص23 .

كما أن فيه نماذج من حياة وأخبار العلماء خارج قسنطينة سواء كانوا من القطر الجزائري أو من البلدان الإسلامية الأخرى المجاورة والبعيدة. وفيه أوصاف لأحداث وقعت بين العلماء والحكام سواء في قسنطينة أو في الجزائر، ووصف لبعض الثورات، وقضايا الأمن العام في الريف، ودور الزوايا، وتقاليد تلقى العلم، وأخبار الكتب. وما يلاحظ عليه أن الفكون لم يشر، ولو لحادثة واحدة فيما نعلم، عن وجود الأجانب أو النصارى في قسنطينة أو غيرها من أنحاء الجزائر[1].

وقد ذكرنا في تأليفنا (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية) من حال الصنفين، ودعوى الفريقين، ما يكتحل بأثمده أهل الكمال، ويروى من عذب فراته أهل الفضل والإفضال، والبر بتأليفه أردت، وإرشاد الأمة ونصحها قصدت. وهو، وإن رمقتني من أجله العيون، وانعقدت على بغضي القلوب وأكثرت الشؤون، فذلك، ولله الحمد، مما يسرني في الحال والمال، ويقوي رجائي أن يكون في عدة في عظيم الأهوال، لوعد رب العالمين، **"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"**

فالرجل أراد مخطوطه إصلاح حال الأمة الإسلامية وحالة مجتمعه الذي طغت عليه الضلالات، وهو يعتبر ذلك جهادا في سبيل الله.[2]

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 25.

[2] المصدر نفسه ، ص 56.

المبحث الثاني:

الواقع الإجتماعي من خلال المخطوط

- تمهيد.

1. الفئات الاجتماعية.
2. الأسرة والتعليم.

- خلاصة.

المبحث الثاني: الواقع الإجتماعي من خلال المخطوط

تمهيد:

من خلال دراسة مخطوط ابن الفكون، سنحاول فهم كيف كانت المجتمعات في هذه المنطقة تتفاعل مع بعضها البعض ومع العالم الخارجي، وكيف تكونت الهويات الاجتماعية والثقافية التي نعرفها اليوم من خلال هذه التجارب التاريخية الغنية.

1. الفئات الاجتماعية:

1.1 مجتمع البايلك:

هذا بالنسبة للمجتمع الجزائري عامة أما بالنسبة لمجتمع قسنطينة فيمكننا أن نفرق بين مجتمع البايلك ومجتمع قسنطينة المدينة، فمجتمع البايلك والذي يستوطن المساحة التي تمتد من البحر شمالا ابتداء من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية التي لم تكن داخلة فيه ومن الشرق الحدود التونسية التي تبدأ من طبرقة على البحر وتمتد إلى الجنوب عبر تبسة إلى وادي سوف.

ومن الغرب جبال البيبان، وقرى منصور وسفوح جبال جرجرة الشرقية والجنوبية إلى برج حمزة، وقريتي سيدي هجرس وسيدي عيسى اللتان تفصلانه عن بايلك التيطري، ومن الجنوب الصحراء الكبرى جنوب واحات وادي سوف وتقرت و ورقلة وميزاب.[1]

هذا المجتمع كان مجتمعا قبليا بأتم معنى الكلمة كانت القبيلة الوحدة الأساسية التي اضطر الأتراك العثمانيين للتعامل معهما بشتى الوسائل ومن أهم هذه القبائل قبيلة الحنانشة التي ظلت إلى غاية 1830 هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية "قالمة، تبسة، سوق أهراس[2]

[1] الشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ويليه روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة، ، ص 18.

[2]

حتى عنابة" ومن أعضائها البارزين أولاد خالد أولاد ناصر، وأولاد سلطان وأولاد بوعزيز وأولاد إبراهيم.[1]

أما من الجنوب فقد سيطرت قبيلة الدواودة على باقي القبائل فقد امتد نفوذها على المنطقة الممتدة من الزاب إلى الحضنة، كما سيطرت على منصب مشيخة العرب خلال العهد العثماني.[2]

كان الباي يقوم بارتداء القفطان أولا كدليل على توليه الحكم ثم يرسله إلى شيخ العرب الذي يقوم بإرتدائه ويرسله إلى شيخ الحنانشة فيرتديه ويرسله إلى شيخ أولاد مقران ثم يعود إلى الباي من جديد. وقد قامت القبيلتين السابقتين بثورتين خطيرتين ضد الحكم التركي الأولى قام بها خالدبن ناصر الحناشي شرق قسنطينة.

أما الثانية فهي الثورة التي قام بها عام 1637 أحمد الصخري بوعكاز أخ شيخ الذواودة بعدما أُعدم من قبل السلطات التركية. إضافة إلى هاتين القبيلتين القويتين نجد كل من قبائل بني جلاب بورقلة وتقرت، وقبائل المقارنيين في مجانة.[3]

[1] العدواني ، المصدر السابق ، ص .174.

[2] أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ قسنطينة، ، ص ص 56،57.

[3] عبد الكريم الفكون، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 167.

2.1 مجتمع قسنطينة وفئاته:

ينقسم مجتمع قسنطينة إلى عائلات كبيرة التي بدورها تنقسم إلى فئات متعددة، ويمكن شرحها فيما يلي:[1]

3. **فئة الحضر**: تشمل هذه الفئة سكان المدن والمناطق الحضرية، الذين يتميزون بالاستقرار والتحضر. يتنوع نشاطهم بين التجارة والحرف والصناعات اليدوية، مما جعلهم يشكلون العمود الفقري للاقتصاد المحلي. يتسم أفراد هذه الفئة بمهارات متنوعة وقدرات على التعامل مع الحياة المدنية والاقتصادية المعقدة.

– **فئة الحكام**:تشمل هذه الفئة المسؤولين وأعضاء الإدارة العثمانية في قسنطينة، الذين يشغلون مناصب مهمة في الحكومة المحلية. يتولى أفراد هذه الفئة إدارة شؤون المدينة وتنظيم الحياة اليومية للسكان، وضمان تطبيق القوانين والأوامر الصادرة عن السلطات العليا.

– **فئة العلماء**:تضم هذه الفئة العلماء ورجال الدين والمثقفين الذين يشكلون النخبة الفكرية والدينية في قسنطينة. يلعبون دورا محوريا في نشر المعرفة والتعليم والدين الإسلامي، ويشرفون على المساجد والمدارس الدينية. كانت هذه الفئة تحظى باحترام كبير من المجتمع نظرا لدورها في التوجيه والإرشاد.[2]

1عبد الكريم الفكون، منشور الهداية ، المصدر السابق، ص 168-175

2 المصدر نفسه ، ص175

- **فئة اليهود:** تشمل هذه الفئة المجتمع اليهودي الذي استقر في قسنطينة منذ فترة طويلة. كان اليهود يشكلون جزءا من النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمدينة، حيث شاركوا في التجارة والصناعات الحرفية. كانت لهم أحياؤهم الخاصة ومعابدهم، وكانوا يعيشون بسلام جنبا إلى جنب مع باقي السكان.

- **فئة المرابطين:** تشمل هذه الفئة رجال الدين والزهاد الذين يكرسون حياتهم للعبادة والخدمة الدينية. يتميز أفراد هذه الفئة بالتقوى والورع، ويلعبون دورا مهما في الحياة الروحية والاجتماعية للمجتمع. كانت لهم زوايا وتكايا حيث يمارسون عباداتهم ويقدمون المساعدة الروحية والمادية للمحتاجين.[1]

3.1 بعض مظاهر الحياة الإجتماعية في قسنطينة:

يمكننا أن نلاحظ أن المجتمع القسنطيني كان يعيش في اضطراب وعدم استقرار وقد شاركت في صياغة هذه الحالة كثير من الأطراف منها السلطة الحاكمة وربما هي التي كان يشير إليها الفكون بإ سم الظلمة أو ممثليها من المخزن أو شيوخ الأحياء فقد وردت نازلة في نوازل الفكون أجاب عنها الفكون الحفيد جاء فيه " أن جماعة وقعت بينهم وبين شيخ جومتهم مكالمة فوشاهم إلى المخزن

[1] عبد الكريم الفكون، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 176-178.

فطلب بعضهم وهدمت دورهم من غير أن يفعلوا ما يستحقوا به ذلك لا بالشرع العزيز ولا بالقانون السلطاني.[1]

ولم يكن الظلم محصورا على أهل المخزن بل تعداه إلى ذوي النفوذ والجاه فقد جاءت نازلة أجاب عنها الفكون الجد فيها أن رجلا من أهل الغصب والظلم والقهر وممن تُتقى شوكته لجاهه وعدم مراقبته لخالقه، وضع يده على أملاك شتى لأناس وأوقاف مساجد وأملاك بيت المال ويجعل على جميع ذلك مصوغات من صداقات ووصايا وبيعات لا حقيقة لها في نفس الأمر، لأنه لا يقف على أحد من شهود بلده وغيرهم بطلبه للشهادة فيما يجعله من المصوغات إلا ويشهد له بها خوفا على أنفسهم وأولادهم إذا لما يتقونه، ولقفول كلمته عند الأمراء بالشيطنة في الإسلام.[2]

هذا وقد ساهم الأعراب في رسم هذه الصورة بغاراتهم وعدم انضباطهم فقد وردت نازلة فيها في أوطان مختلفة عن جدهم رجل من الأعراب رجع إلى الصلاح حج بيت الله الحرام.[3]

أما اللصوص فهم مستغرقي الذمم الذين لا شغل لهم إلا شن الغارات وقطع السبل وانتهاك أموال المسلمين فتارة تؤخذ منهم بإسم الزكاة وتارة بإسم النهب من قبل أولياء الأمور.[4]

---

[1] محمد الفكون، **نوازل الفكون**، ص 194.

[2] المصدر نفسه، ص ص 205-206.

[3] المصدر نفسه، ص 148.

[4] المصدر نفسه، ص 149.

ويعطينا الفكون عبارات أخرى كالحرابة، غمريان وهم اتباع قاسم بن أم هاني، العلمة وهم أتباع أحمد بوعكاز، العبابسة وزعيمهم العباسي الغازي، وأولاد عيسى وجماعة ريغة وهم من اللّصوص كان هؤلاء يقومون بغارات السلب والنهب وقطع الطريق مما أدى إلى قلة الأمن خاصة إذا أضفنا الثورات التي شهدها البايلك كثورة بن الصخري عام 1637.

فوق ذلك كلّه، فقد تعرضت قسنطينة للعديد من الجوائح سنذكرها في المبحث الثالث.

2.الأسرة:

2. 1تكوين الاسرة:

، الزواج:

بحكم شساعة إقليم قسنطينة وكثرة عدد سكانه مع اختلاف الانتماءات القبلية والعرقية من عرب، شاوية وبربر وغيرهم من الأعراق ، كل هذا كان سببا كافيا لتعدد و تنوع الزواج بهذه الرقعة الجغرافية ، هذا النوع يرتبط بالاسم أما الهدف و المقصد فهو واحد ، فمن الأنواع التي شدت انتباهنا هو ماجاء به فيرو، و هذا ببعض مناطق الشرق (البايلك) الجزائري .حيث ذكر لنا نوعين من الزواج ، زواج الجدي و زواج المعطية.[1]

[1] الدراجي بلخوص، الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون في القرنين 10-11 هـ/16-17م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2019، ص 70.

فزواج الجدي يعرف بهذا الاسم نسبة إلى ذبح جدي كعلامة من علامات القبول و الرضا بين العائلتين حول الزواج . و في حالات الرفض فإن الزواج قد يتم بحيلة من الخاطب (العشيق) ألا و هي استغلال فرصة عدم تواجد أهل البنت و المسارعة إلى ذبح جدي على عتبة منزل الفتاة المقصودة، و مجرد أن يلطخ دم الجدي العتبة تتصبح رابطة الزواج مشروعة ، وبهذا الفعل تصبح البنت مخطوبة في نظر المجتمع و بهذا لا يجوز التقرب منها لخطبتها .. أما زواج المعطية فنجده في حالات معينة كالخلافات بين العائلات أو القبائل، هذه الخلافات تكون بسبب القتل و الدية المترتبة عن عملية القاتل على دفع مبلغ الدية هذا والقتل ففي هذه الحالة تصبح الفتاة (المرأة) محل الدية أو هي الدية و هذا في حالة عدم مقدرة أسرة النوع من الزواج يمكن أن نطلق عليه أي لفظ إلا لفظ الزواج و هذا بحكم المقصد منه ، أما عند نسبة وجود هذا النوع من الزواج فنظن أن نسبة وجوده نسبيا داخل المجتمع القسنطيني و ربما يتعلق بمناطق محدودة من البايلك ، و فيرو بطرقه و طرحه لهذا الزواج ربما أراد أن يبين مدى الجهل الحاصل داخل المجتمع و هذا حسب رأيه.[1]

[1] الدراجي بلخوص، المرجع السابق ، ص71.

بعرضنا لهاذين النوعين من الزواج ليس اقتناعا بهذا النوع من الزواج ولكن لنعرض وجهة نظر لشخصية أجنبية ربما تكون صحيحة في حيز تاريخي وجغرافي محدد. فالزواج كما هو معلوم ذلك الرابط الشرعي والمقدس بين الرجل والمرأة أهدافه سامية.[1]

- **مراحل الزواج:**
- الخطبة
- الصداق
- الشوار (الجهاز)
- ليلة البناء (الدخلة)[2].
- **تعدد الزوجات:**

تعدد الزوجات من المظاهر والميزات التي نجدها بالمجتمع بباليك قسنطينة ، و هذه الخاصية أو الظاهرة ، ليست بجديدة على المجتمع بحكم أنها من حقوق الزوج التي جاءت بها الشريعة الإسلامية و هذا بالكتاب حيث يقول عز وجل : "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا

[1] الدراجي بلخوص ، المرجع نفسه، ص 70.

[2] المرجع نفسه، ص ص 71-93.

طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا . " 1 . سورة النساء: الآية 03.[1]

من النوازل التي جاءت و حملت لنا معلومات حول تعدد الزوجات نازلة عرضت على محمد الأنصاري (شهر الكماد) و التي أشارت إلى رجل توفي ورثته زوجتاه ، حيث يقول السائل : " ... و توفي في مرضه المتصل بوفاته وورثه زوجتاه و عصبه بيت المال..."[2]

و يبدوا أن تعدد الزوجات لم يكون بردا وسلاما على الزوج و هذا ما توضحه إحدى النوازل والتي يبدوا أن رفض أهل الزوجة سكنها ببيت زوجها مرده إلى زوجة له سابقة حيث يذكر السائل في هذا الباب : ". و أراد السكن بها بداره مع أبويه و زوجة له سابقة ... فامتنع من ذلك والدها.

وظاهرة تعدد الزوجات لا نجد لها سبيلا في بعض المناطق من البايلك أو تكاد تكون نادرة ، ومن هذه المناطق منطقة القبائل ، بحيث يذكر بفايفر أن الرجال على مستوى هذه المناطق لا يستهويهم تعدد الزوجات بل نجد الرجل يفضل أن يتزوج من امرأة واحدة يكن لها كل الحب و المودة. و هذا عكس الرجل العربي خاصة على مستوى الريف و البادية ، هذه الأخيرة تكون فيها ظاهرة تعدد الزيجات أكثر ، خاصة إذا ما قارناها بالمدن أو الحواضر.[3]

[1] ابن الفكون ، المصدر السابق ،ص 94.

[2] الدراجي بلخوص، المرجع السابق ، ص 94.

[3] ا بن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 94.

أما على مستوى البادية فتعتبر الزراعة أهم مورد للعائلات الريفية و التي تملك الكثير من الأراضي تفلحها ، بالحبوب و الخضر و الفواكه و غيرها من الخيرات. إضافة إلى الزراعة تمتهن الأسرة على مستوى الريف و البادية الرعي ، فلا تكاد نجد عائلة في الريف القسنطيني لا تملك مواشيا ، لكن هناك اختلاف بين العائلات من حيث المداخيل والي تؤثر على المستوى المعيشي لكل أسرة.[1]

2.2 التعليم:

أ. وجود المدارس والمكتبات:

إضافة إلى هذا التأثير التونسي فإن قسنطينة رغم الوضع السيئ الذي رسمه لها كل من الوزان والفكون الحفيد، إلا أنها لم تكن خالية من الحركة العلمية فقد بنيت المساجد والزوايا، حيث لعبت دورا كبيرا في نشر العلم ووفرت الزوايا، مراكز يستقربها طيلة العام الذي يأتون من خارج المدينة، ومن أبرز هذه المساجد المسجد الكبير الموجود ببطحاء السويقة والذي يعود تاريخ تأسيسه إلى زمن الموحد، وهو المسجد المركزي بقسنطينة على عهد الأتراك.[2]

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ،المصدر السابق ، ص 95.

[2] المهدي شعيب، المرجع السابق ، ص 332.

وذكر الفكون أن هذا المسجد المسمى بالجامع الأعظم قد ألحقت به مكتبة تتكون من خزانتي كتب، ومسجد سيدي أبي العباس قرب رحبة الجمال ومسجد الشيخ عبد الهادي، ومسجد سيدي علي بن مخلوف.[1]

أما الزوايا فمنهما زاوية الفكون التي بنيت على عهد الفكون الجد، زاوية الشيخ الوزان وبن أفوناس، وزاوية بن نعمون، وزاوية باش تارزي، وزاوية حنصالة.[2]

وإضافة إلى المكتبات الملحقة بالزوايا والمساجد هناك المكتبات الخاصة التي كانت ترجع للعائلات ومن أبرز هذه المكتبات مكتبة الفكون، والتي أنتهكها الفرنسيون، حيث كانت في ملك الشيخ حمودة الفكون وذكر أنهم وجدوا بها نحو 2500 مجلد كلها في حالة جيدة. وقد اشتملت أكثر من 50 كتابا في الفقه والعقيدة وثلاثون في التوحيد/ ثلاثمائة في الحديث، 11 في مصطلح 8 الحديث، 130 في علوم القرآن، 300 في الفقه على المذاهب الأربعة، أربعون في التصوف.[3]

إضافة إلى ما ذكرناه من توفر المدارس والكتب والمكتبات كانت قسنطينة قبلة لطلب العلم داخل البلد وخارجه، خاصة من بلد زواوة والجزائر العاصمة، وميلة ومن المغرب الأقصى وتونس ويرتادون الزوايا، ويأخذون العلم عن مشايخ قسنطينة. وقد أعطانا الفكون أسماء كثير من هؤلاء الطلبة منهم محمد بن راشد الزواوي وأحمد بن تكفة وحميدة بن باديس القسنطيني ومحمد الفاسي

[1] عبد الكريم الفكون، منشور الهداية،المصدر السابق ، ص 96.

[2] المهدي شعيب،المرجع السابق ، ص ص ،255 .256.

[3] سعد الله، المرجع السابق ،ص ص ،305 .306.

ومحمد السوسي الفاسي. ومن تونس الشيخ أحمد برناز أخذه في قسنطينة عن بركات بن باديس المفتي.

كما تحدث الفكون عن الزيارات التي كان يقوم بها أهل العلم من تونس لقسنطينة مثل محمد تاتج العارفين، الذي راسل الفكون أثناء تواجد بالجزائر للصلح مع تونس عام 1037 هـ، وإبراهيم الغرياني وإبراهيم الفلاري التونسي، الذي وقع بينه وبين الفكون الحفيد شبه تحد في مسائل نحوية.[1]

إضافة إلى ما ذكرناه وجود طبقة من المشايخ ممن تصدوا لمهمة التدريس والفتوى والقضاء وكان أغلبيتهم يعيشون على تراث جمع من المشايخ منهم عمر الوزان، وعبد الرحمن الأخضري، البنطيوسي، وقد قدم لنا الفكون أسماء كثير من هؤلاء المدرسين منهم: محمد العطّار الذي إنتقل إلى تونس ودرس بها وعاد إلى قسنطينة وقام بمهمة التدريس.[2]

وقاسم الفكون الذي تولى إمامة جامع البلاط بتونس، ممن فاق عصره في علم المعقول، وقد حضر دروس الوزان وأثنى عليه، كما اشتغل بالتفسير ومنهم محمد الكماد من تلاميذ الوزان، وعبد اللطيف المسبح. متفوق في الحساب متفنن في الفقه، صاحب الشرح على مختصر الأخضري، ومنهم عبد الكريم الفكون الجد إمام وخطيب الجامع الأعظم ممن يرجع إليه في النوازل والأحكام، ومنهم الشيخ الأستاذ التحرير النحوي آخر المتكلمين لسان حجة المسلمين محمد التواتي انتشر

[1] المهدي شعيب ،المرجع السابق ، ص88.

[2] الفكون،منشور الهداية ، المصدر نفسه ، ص110.

علمه وأقبلت إليه الطلبة وانتفعوا وكثر بحثه وعلت عارضته، وحصلت له مشاركة في الأصول والمنط والبيان، وله سند في قراءة عقائد السنوسي.

ومنهم حميدة بن باديس من بيوتات قسنطينة وأشرافها إمام جامع القصبة وآل بن باديس عموما أهل صلاح وعلم وعمل.[1]

من كل ما سبق يتبين لنا أن عصر الفكون كان عصر السيطرة التركية على البلاد كلها، عدى مدينة وهران التي ضلت تحت السيطرة الإسبانية إلى غاية 1792م حيث سيتم تحريرها.

ولم يخلوا عصر الفكون من الاضطرابات والثورات كان من أبرزها وأخطرها ثورة ابن الصخري بوعكاز زعماء الذواودة عام 1637 والتي كادت أن تعصف بالتواجد التركي خاصة في بايلك الشرق، وربما يعكس ذلك عقلية الأتراك التي تميل إلى القسوة مع الأهالي، في أسلوب تعاملهم مع هذه الثورات.

أما من الناحية الدولية، فقد تكالبت الأمم الأوربية على الجزائر، وقد لعب الأتراك دورا إيجابيا طرد الصليبيين من البلاد والتصدي لغاراتهم.

أما من الناحية الاجتماعية فرغم تأثيرات الترك في بعض جوانبها فإن من أبرز هذه التأثيرات ظهور فئة الكراغلة كفئة جديدة في المجتمع الجزائري، ورغم ذلك يفي الأتراك معزولون عن باقي

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ،المصدر السابق ، ص 57-58.

المجتمع خاصة في الأرياف، وبقيت العلاقة بينهما علاقة سيد بمسود. ولم تكن الأحوال الاجتماعية على أحسن ما يرام بانتشار اللصوصية وعدم الأمن والظلم السياسي، وإنتشار التصوف بشكل مريع. لم تتوقف رحى الحركة العلمية بل إستمرت وظهرت طبقة من العلماء، خاصة في العلوم الدينية.[1]

[1] ابن الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص 58

المبحث الثالث:

الواقع الصحي في بايلك قسنطينة

- تمهيد.

1- الأمراض والأوبئة في مجتمع بايلك.

2- أساليب وطرق الوقاية والعلاج من الأمراض.

- خلاصة:

المبحث الثالث: الواقع الصحي في بايلك قسنطينة

تمهيد:

عرف بايلك الشرق تقهقرا اقتصاديا واختلالا اجتماعيا، ودلك بفعل الأحوال الصحية، المتمثلة في الأمراض والأوبئة التي ألحقت أضرارا كبيرة بشتى القطاعات.

كما أن سلسلة الكوارث الطبيعية المتمثلة في الجراد والزلازل والفيضانات والحرائق، كانت هي الأخرى لها دو ر كبيرا في تدهور الأوضاع الاقتصادية وتقلص عدد السكان

1. الأمراض والأوبئة في مجتمع بايلك:

لم يكن مجتمع قسنطينة بمعزل عن الكوارث الطبيعية خلال الفترة المدروسة. يشير الفكون إلى أن الطاعون ضرب المدينة عدة مرات، مما أسفر عن وفاة العديد من سكانها، بما في ذلك بعض العلماء والأعيان. وقد توفي الفكون نفسه بالطاعون عام 1073 هـ (1680 م). من بين التواريخ البارزة لهذه الطواعين، كانت هناك ضربات في الأعوام 1602، 1622، 1634، و1644 هـ. أما الجفاف، فقد كان أسوأه في عام 1602 واستمر حوالي تسع سنوات، مما أدى إلى مجاعة شديدة. كما حدث جفاف آخر في عام 1647 مـ (1057 هـ)، وتبعه مجاعة كبيرة، مما أدى إلى النهب والتعدي وانهيار التوازن الاقتصادي.[1]

في مواجهة هذه الأزمات، لعب أعيان المدينة، وخاصة العلماء ورجال الدين، دورا رئيسيا في تولي المسؤوليات الأخلاقية والروحية، لمنع الفوضى وحماية السكان. من بين هؤلاء كان عبد الكريم الفكون، الذي أصبح في القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري) زعيما روحيا وقيادة أخلاقية ذات نفوذ، محترمة من قبل الحكام والمواطنين على حد سواء.[2]

[1] فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518– 1871، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني: جامعة الجزائر، 2008 ، ص.173.

[2] حميد الزين: الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518– –1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث والمعاصر، شراف: حميد حماود، جامعة سيدي بلعباس، 2011، ص 206.

كما تعرضت قسنطينة لهجمات الجراد خلال سنوات 1023، 1024، و1025 هـ. وصف الفكون في كتابه "محدد السنان" كيف غطى الجراد الأفق وأجدب السهل والجبل، حتى أن الجراد شكل قناطر في وادي قسنطينة. وروى كيف خرج أهل البلدة لمحاربة الجراد، وكيف كان الجراد يرفع الأحجار الضخمة. تغير لون الوادي إلى الأسود وأصبح نتن الرائحة كالجيفة، مما أثار الفزع بين أهل البلدة الذين كانوا يلتقطون الحيتان من الضفة قبل أن يتركوا أكلها خوفاً من الوباء. خلال فترة التغير، انقطع السقي من الوادي وارتفع ثمن الماء، مما اضطر الناس إلى الاعتماد على العيون والآبار. لجأ الناس إلى استخدام الدخان لإبعاد الجراد عن الزرع والأشجار.[1]

2. **أساليب وطرق العلاج والوقاية من الأمراض:** بما أن مجتمع قسنطينة كان مجتمعا مسلما، فقد كانت طرق الوقاية من الأوبئة والأمراض تستند إلى تعاليم الشريعة الإسلامية كما جاء في القرآن والسنة. لم تترك الشريعة الإسلامية أمر الوقاية من الأوبئة، خاصة المعدية منها، دون إرشاد. ففي القرآن الكريم، تحث العديد من الآيات المسلمين على الابتعاد عن كل ما قد يلحق ضرراً بهم وبصحتهم. يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ" (النساء: 71)، وفي موضع آخر يقول عز من قائل: "ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (البقرة: 195). هذه الآيات تشير إلى ضرورة الأخذ بالأسباب للوقاية من الأمراض.[2]

[1] حميد الزين،المرجع السابق ، ص 207.

2المرجع نفسه ، ص108

في السنة النبوية الشريفة، نجد أحاديث متعددة حول طرق الوقاية من الأوبئة والأمراض. فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يوردِ ممرِض على مصِحٍّ" (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية أخرى: "لا يوردِنَّ ممرِضٌ على مصِحٍّ" (رواه مسلم). وفي حديث آخر، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدْوى ولا طِيرةَ ولا هامةَ ولا صفَرَ" (رواه البخاري ومسلم). توضح هذه الأحاديث أهمية الابتعاد عن المصابين بالأمراض المعدية للحفاظ على الصحة العامة.[1]

علاوة على ذلك، شجعت الشريعة الإسلامية على الفرار من الطاعون لتجنب العدوى، وأكدت أن ما يصيب الإنسان من بلاء هو مقدر من الله. يقول الله تعالى: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" (التوبة: 51)، ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك" (رواه الترمذي).

ابن خلدون قدم نظرية للوقاية من الأمراض والأوبئة، مقترحا الابتعاد عن التجمعات السكانية الكثيفة للحد من انتشار الأوبئة وتنقية الجو من الجراثيم. وأشار إلى أن المدن تصيب ضحايا أكثر من الريف بسبب كثافة السكان. أما ابن رشد، فقد ذكر قضية الحجر الصحي، [2]حيث تم حجر

[1] عائشةغطاس ، **الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني** ، مجلة الثقافة ، العدد 76 ، رمضان – شوال 1403هـ،ص154

[2] المرجع نفسه ، ص154

مركب للحجاج قادم من الإسكندرية في عام 1157 هـ، حاملاً الوباء، ومنعتهم السلطات الجزائرية من الدخول خشية العدوى، وسمحت لهم بالدخول بعد التأكد من خلوهم من المرض.[1]

من أهم أساليب وأدوات العلاج على مستوى بايلك قسنطينة نجد[2]:

1.2 التداوي والعلاج بالأعشاب:

في مجتمع قسنطينة خلال القرنين 16 و17، كان التداوي يعتمد بالدرجة الأولى على الأعشاب كمادة أساسية للعلاج، حيث كانت الأعشاب تشكل جزءاً لا يتجزأ من التقاليد الطبية المحلية. كان من المعتاد أن يكون لكل مرض علاج طبيعي يقتصر عادةً على استخدام النباتات المتوفرة محلياً، باستثناء الأمراض المعدية الخطيرة مثل الطاعون والكوليرا التي كانت تتطلب تدخلاً طبياً أكثر تعقيداً.

من الأمراض التي عرفت لها أدوية طبيعية نباتية في هذا السياق، كان داء الكبد حيث يوصى بعلاجه باستخدام فاكهة الرمان. كما كان لعلاج الجروح والإصابات المفاصل استخدام العسل، حيث كان السكان يخلطون العسل بالبيض والملح وغيرها من المكونات الطبيعية لتسريع الشفاء وتخفيف الالتهابات.[3]

---

[1] ابن العنتري ، فريدة المنسية .....، المصدر السابق ، ص ص 34،35

[2] ارزقي شويتام : **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره 1800-1830** ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، الجزائر ، 2011 ، ص 80.

[3] المرجع نفسه. ص 81.

تجمع هذه الممارسات بين العلم الشعبي والمعرفة الطبية البسيطة التي كانت متاحة للسكان، وكانت تمثل جزءاً مهماً من الثقافة الشعبية والتراث الطبي في المدينة. استمرار استخدام الأعشاب والمكونات الطبيعية في العلاج يعكس التكيف مع الظروف المحلية والثقافية، مما يبرز الأهمية التي كانت توليها المجتمعات المحلية للموارد الطبيعية في علاج أمراضها والحفاظ على صحتها.[1]

2.2 التداوي والعلاج بالرقية:

الرقية كانت أحد أساليب العلاج المهمة في المجتمع القسنطيني المسلم خلال القرون الوسطى. كان السكان، خاصة المرضى، يلجؤون إلى العلاج بالرقية بشكل شائع، وهو ما يتأكد منه العديد من المصادر التاريخية والثقافية للمنطقة.

في نوازل ابن الفكون، تطرقت بعض النوازل إلى موضوع الرقية كطريقة للعلاج، حيث ينقل عمر الوزان عبارة تشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا رقية من عين أو حمة معناه لا يباح، الرقى إلا في هاتين فقط فإن الرقى مباح." هذا يعني أن الرقية كانت تستخدم لعلاج العين والحمة وغيرها من الأمراض المعتقد أنها ناتجة عن سحر أو عين.[2]

إستخدام الرقية كجزء من العلاج يوضح الالتزام بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت تعكس الثقافة الدينية والطبية التي كانت تسود المجتمع في تلك الفترة. كانت الرقية تُعتبر وسيلة

[1] ارزقي شويتام ، مرجع سابق، ص .81.

[2] . ابن الفكون. منشور الهداية، المصدر السابق . ص 177.

مباحة ومقبولة للشفاء، مما يبرز التكامل بين العلم الديني والطبي في مجتمع قسنطينة خلال تلك الفترة التاريخية.

3.2 العلاج بمياه الحمامات:

مياه الحمامات المعدنية كانت تُعتبر أدوية هامة في علاج العديد من الأمراض في مجتمع قسنطينة خلال القرون الوسطى. هذه المياه تحتوي على مجموعة متنوعة من المواد المعدنية مثل الكبريت وغيرها من المعادن، والتي تُعتبر فعالة في علاج الأمراض المختلفة نظراً لتأثيراتها الطبيعية.[1]

عادة ما كانت هذه الحمامات جزءا من التقاليد الشعبية والاعتقادات بالبركة، حيث كان الناس يعتقدون أن استحمامهم في هذه المياه يمكن أن يساهم في شفائهم من الأمراض. كانت هذه الحمامات موطناً للعلاج بالماء والتدليك، وكان البعض من السكان، بما في ذلك المرابطين، يلجؤون إليها للحصول على العلاج والتخفيف من آلامهم وأمراضهم.[2]

بالإضافة إلى الفوائد الطبية المحتملة، كانت هذه الحمامات تشكل مركزاً للمجتمع حيث يجتمع الناس للعلاج والاسترخاء، مما يبرز دورها الاجتماعي والثقافي إلى جانب الطبي. بفضل تأثيراتها

[1] ارزقي شويتام : مرجع سابق ، ص .85.

[2] المرجع نفسه ، ص 85

العلاجية والمعتقدات الثقافية المرتبطة بها، كانت مياه الحمامات المعدنية جزءاً لا يتجزأ من نظام العلاج التقليدي في مجتمع قسنطينة خلال تلك الفترة التاريخية.

4.2 زيارة المرابطين والصالحين:

زيارة المرابطين والصالحين كانت جزءاً لا يتجزأ من وسائل العلاج والشفاء في مجتمع قسنطينة خلال القرون الوسطى. كان السكان يلجؤون إليهم للحصول على الشفاء من الأمراض والمشاكل الصحية المختلفة، إضافة إلى طلب البركة منهم بسبب مكانتهم الروحية والاجتماعية المرموقة.[1]

المرابطين كانوا يعتبرون الأطباء في الكثير من الأحيان، حيث كانوا يمتلكون المعرفة والخبرة في استخدام الأدوية الطبيعية والرقية كوسيلة للشفاء. كانوا يتلقون هذه المهنة عن طريق التوريث من جيل إلى جيل، حيث يورث الأبناء هذا المعرفة من آبائهم وأجدادهم.

عندما يتولى المرابط العلاج، فإنه يعمل على تعليق الأدوية أو وضعها في أماكن معينة يحددها، وهذا يكون جزءاً من الطقوس والممارسات التي يعتقدون أنها تساعد في الشفاء والوقاية.

1

يتمتع المرابط بسمعة قوية بين السكان بفضل معرفتهم بالطب الشعبي وقدرتهم على التعامل مع الأمراض بطرق مختلفة، مما يجعلهم مرجعاً هاماً للعلاج في المجتمع.[1]

بالتالي، كانت زيارة المرابطين واستشارتهم جزءاً لا يتجزأ من النظام الطبي التقليدي في قسنطينة، حيث كانوا يمثلون مزيجاً من الطبيب والشيخ، يقدمون العلاج بجانب النصح الروحي والديني للمرضى والمجتمع بشكل عام.

5.2 العمليات الجراحية:

رغم بدائية الطب والعلاج في منطقة البايلك بشكل عام، إلا أنه كانت هناك استثناءات تتمثل في العمليات الجراحية التي كانت تُجرى في بعض مناطقها، بما في ذلك منطقة الأوراس وجبال شرشار. منذ أكثر من ألف سنة، كانت تُجرى هناك عمليات جراحية تعرف بالتربنة، وهي عمليات جراحية تتم على مستوى الجمجمة.

تعتبر التربة إجراء جراحياً تقليدياً كان يهدف إلى علاج مختلف أمراض وحالات الجمجمة، مثل الكسور التي تحدث على مستوى الجمجمة، وكذلك لاستئصال الأورام الدموية وغيرها من الحالات التي تتطلب تدخل جراحي.[2]

[1] ارزقي شويتام ، المرجع السابق . ص90

[2] المرجع نفسه ، ص 91.

هذه العمليات كانت تنفذ بواسطة الخبراء المحليين في المنطقة، الذين كانوا يمتلكون المهارات الضرورية لإجراء هذه الجراحات بأدوات بسيطة وفي ظروف بدائية نسبياً. كانت هذه العمليات تتم بالطرق التقليدية وباستخدام مواد متاحة في المنطقة.

بهذا الشكل، تبرز استثناءات مثل عمليات التربنة كدليل على التطور النسبي في مجال الطب والجراحة في بعض مناطق البايلك، رغم بساطة الوسائل والظروف التي كانت تحد من تقدمها.[1]

[1] ارزقي شويتام ،المرجع السابق ، ص 95 .

خلاصة:

إن بايلك الشرق مر بأوضاع صحية أدت إلى تراجع عدد السكان وضعفه، وذلك بسبب ما مر به من أضرار اقتصادية وتناقص النمو الديمغرافي بسبب الأمراض الفتاكة والأوبئة، التي شهدتها المنطقة. كما أن المنطقة شهدت ثورات منها ثورة ابن الأحرش التي اجتاحت إيالة الشرق في أواخر العهد العثماني، ومهدت إلى أزمة المجاعة عام 1804م.

ومن جراء ما عرفته إيالة الشرق الجزائري من سوء الأحوال الصحية، تفاقمت الأزمات والمشاكل السكانية، وأيضا الكوارث الطبيعية من زلازل وحرائق والجفاف و فيضانات.

الخاتمـــة

خاتمة:

لقد تناولت هذه المذكرة بالدراسة والتحليل مجتمع مدينة قسنطينة من خلال المصادر المحلية، مع التركيز على شخصية عبد الكريم ابن الفكون كنموذج بارز يعكس الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية للمدينة في العصور الماضية. تعتبر مدينة قسنطينة، بجغرافيتها وتاريخها العريق، مثالا حيا لتفاعل الحضارات والثقافات المختلفة التي شكلت ملامحها عبر القرون.

خلال البحث، اتضح أن عبد الكريم ابن الفكون لم يكن مجرد عالم ديني، بل كان رمزا لقيادة روحية وأخلاقية اجتذبت احترام الحاكم والمحكوم على حد سواء. من خلال مؤلفاته وسيرته الذاتية، استطعنا أن نفهم كيف كان هذا الرجل يمثل صلة الوصل بين الدين والمجتمع، وكيف ساهم في معالجة الأزمات التي عصفت بالمدينة من طواعين وأوبئة وجفاف ومجاعات.

أظهرت الدراسة أن مجتمع قسنطينة كان متنوعا من حيث الأعراق والانتماءات القبلية، ما أضفى على المدينة نسيجاً اجتماعياً غنياً ومتنوعاً. هذا التنوع، رغم ما قد يحمله من تحديات، كان أيضا مصدر قوة وثروة ثقافية للمدينة. واستنادا إلى المصادر المحلية، تبين أن الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها المدينة لم تكن مجرد حوادث عرضية، بل كانت نتاجاً لتراكمات طويلة من المشاكل الهيكلية والسياسية.

لقد كشفت الدراسة عن دور العلماء ورجال الدين في التصدي لهذه الأزمات من خلال توجيه الناس وتقديم الدعم المعنوي والمادي، مستندين في ذلك إلى تعاليم الشريعة الإسلامية. ولعل شخصية عبد الكريم ابن الفكون كانت من أبرز الأمثلة على هذا الدور، حيث لم يقتصر نشاطه على التعليم والإرشاد الديني، بل امتد ليشمل القيادة الاجتماعية والتفاعل مع مشاكل المجتمع اليومية.

تناول البحث أيضا تأثير الأوبئة والأمراض على المجتمع القسنطيني، وكيف أن الشريعة الإسلامية قدمت إرشادات واضحة حول الوقاية والتعامل مع هذه الأوبئة. من خلال تحليل نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، تبين أن الإسلام قد وضع أسساً متينة للحفاظ على صحة الفرد والمجتمع، مما يعكس الحكمة البالغة في التعامل مع الأزمات الصحية.

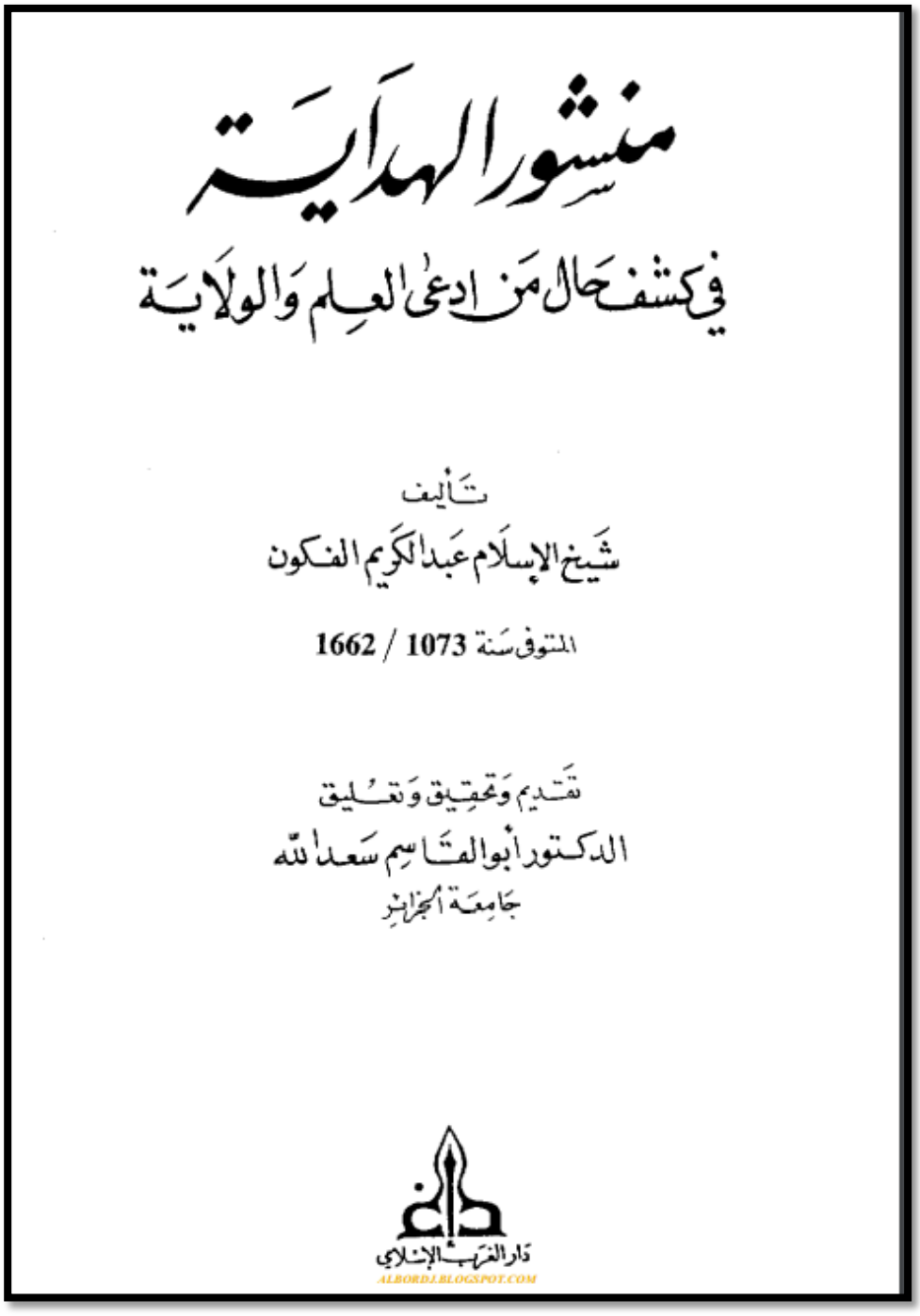
ومن جانب آخر، قدم البحث نظرة عميقة على كيفية تأثير الأوضاع الاقتصادية على التركيبة السكانية والنمو الديمغرافي للمدينة. تبين أن الأزمات الاقتصادية، مثل المجاعات وتراجع النشاط التجاري، قد أثرت بشكل كبير على الحياة اليومية للسكان، وأدت إلى تغييرات جوهرية في بنية المجتمع.

في ختام هذه المذكرة، يمكن القول إن دراسة مجتمع مدينة قسنطينة من خلال شخصية عبد الكريم ابن الفكون قد أظهرت بوضوح كيف يمكن للفرد أن يؤثر بشكل كبير في مجتمعه، وكيف

يمكن للمعرفة والقيادة الروحية أن تسهم في تجاوز الأزمات والتحديات. كما أكدت الدراسة على أهمية المصادر المحلية في فهم التاريخ الحقيقي للمجتمعات، إذ أن هذه المصادر توفر رؤية متكاملة وشاملة لتاريخ المدينة وحياة سكانها.

أملنا أن تكون هذه المذكرة قد أضافت قيمة إلى الأدب الأكاديمي المتعلق بتاريخ قسنطينة، وأن تلهم الباحثين لمزيد من الدراسات المستقبلية حول هذه المدينة العريقة. نأمل أيضا أن يستفيد المجتمع الحالي من الدروس المستفادة من تجارب الماضي، لبناء مستقبل أفضل وأكثر استقراراً.

الملاحـق



منشور الهداية

في كشف حال من ادعى العلم والولاية

تأليف

شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون

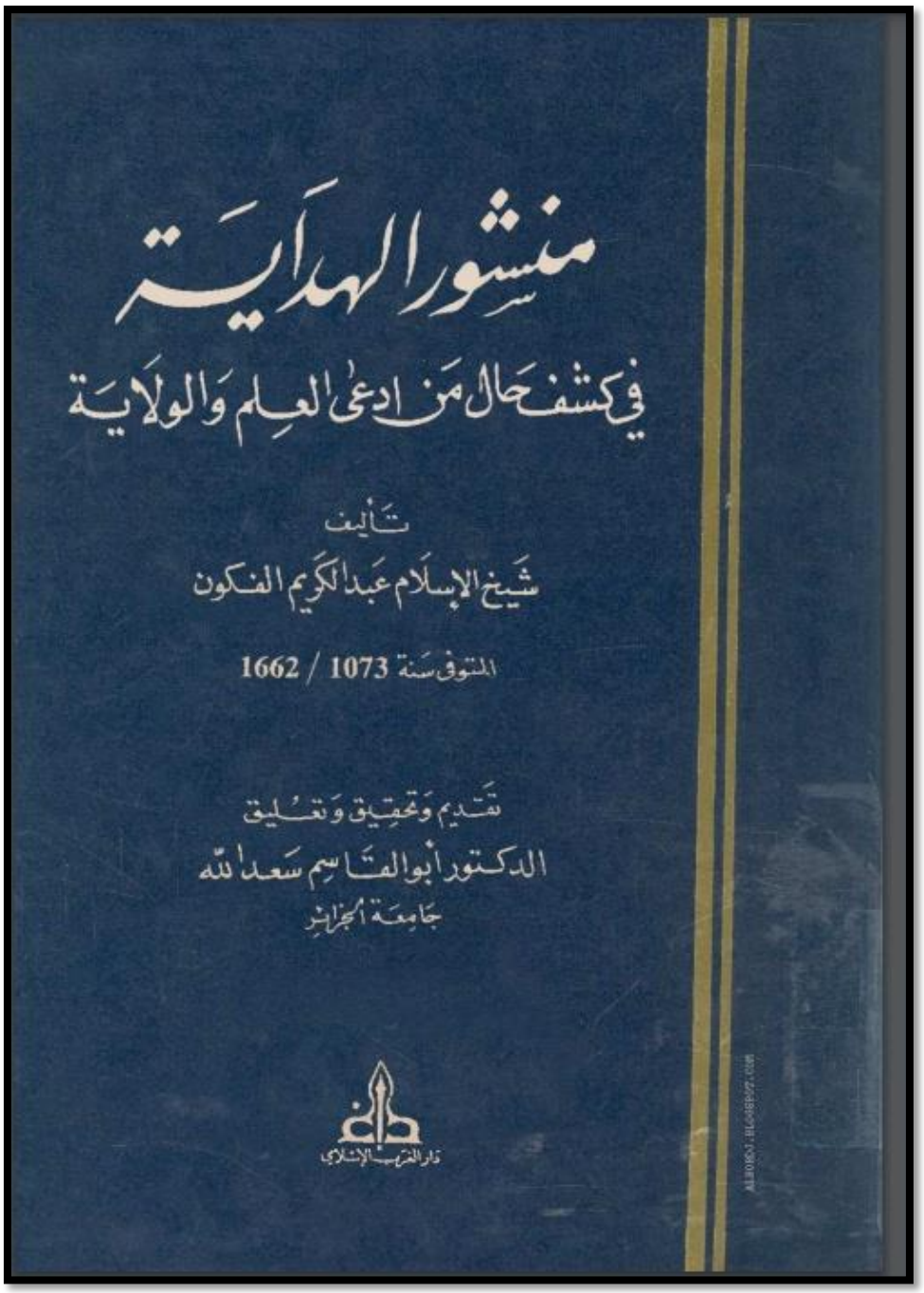
المتوفى سنة 1073 / 1662

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور أبو القاسم سعد الله

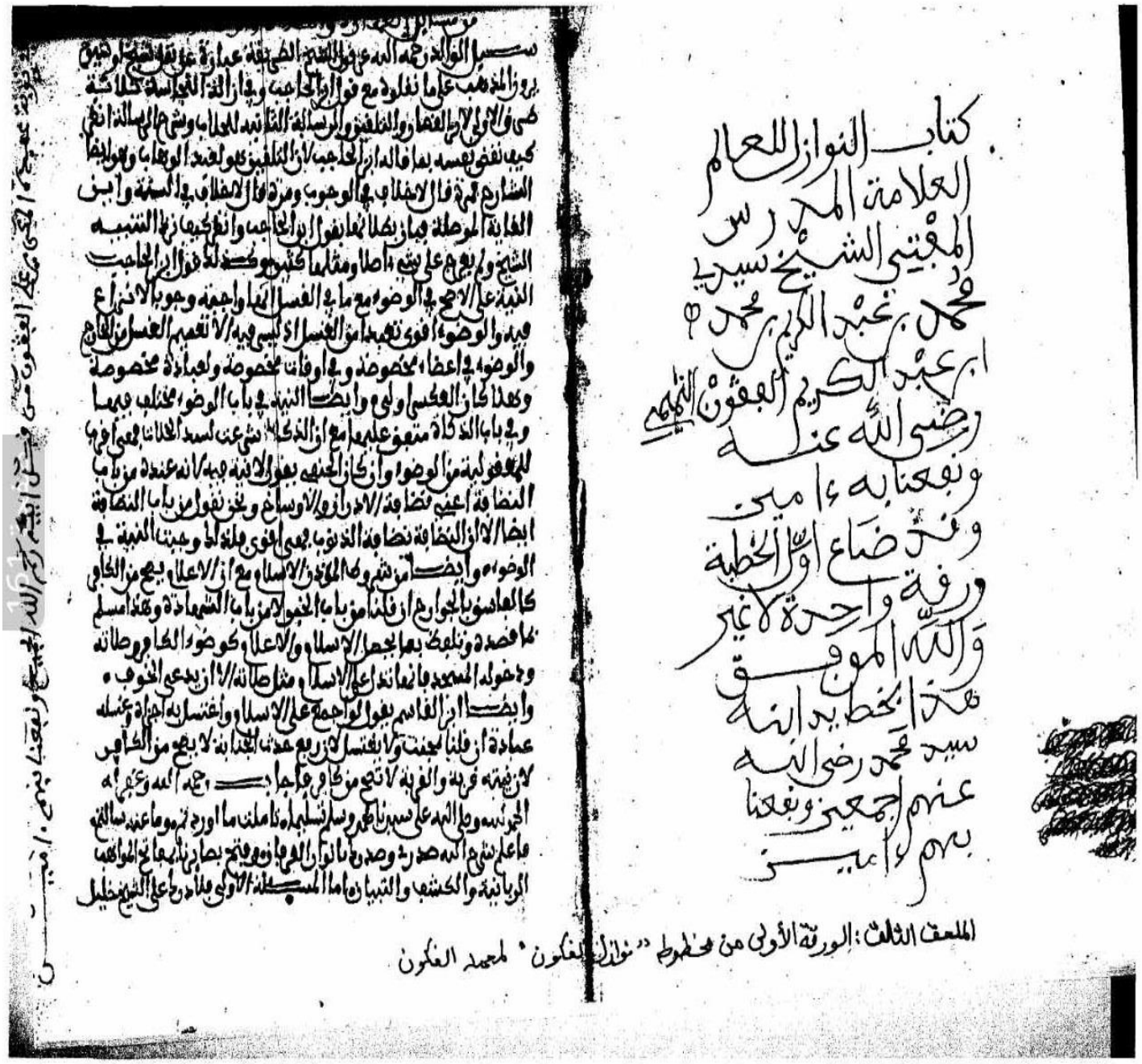
جامعة الجزائر

دار الغرب الإسلامي
ALBORDJ.BLOGSPOT.COM


منشور الهداية
في كشف حال من ادعى العلم والولاية
تأليف
شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون
المتوفى سنة 1073 / 1662
تقديم وتحقيق وتعليق
الدكتور أبو القاسم سعد الله
جامعة الجزائر
دار الغرب الإسلامي



الملحق الثالث : السنان في نحور اخوان الدخان، مرجع سابق، ص 160.

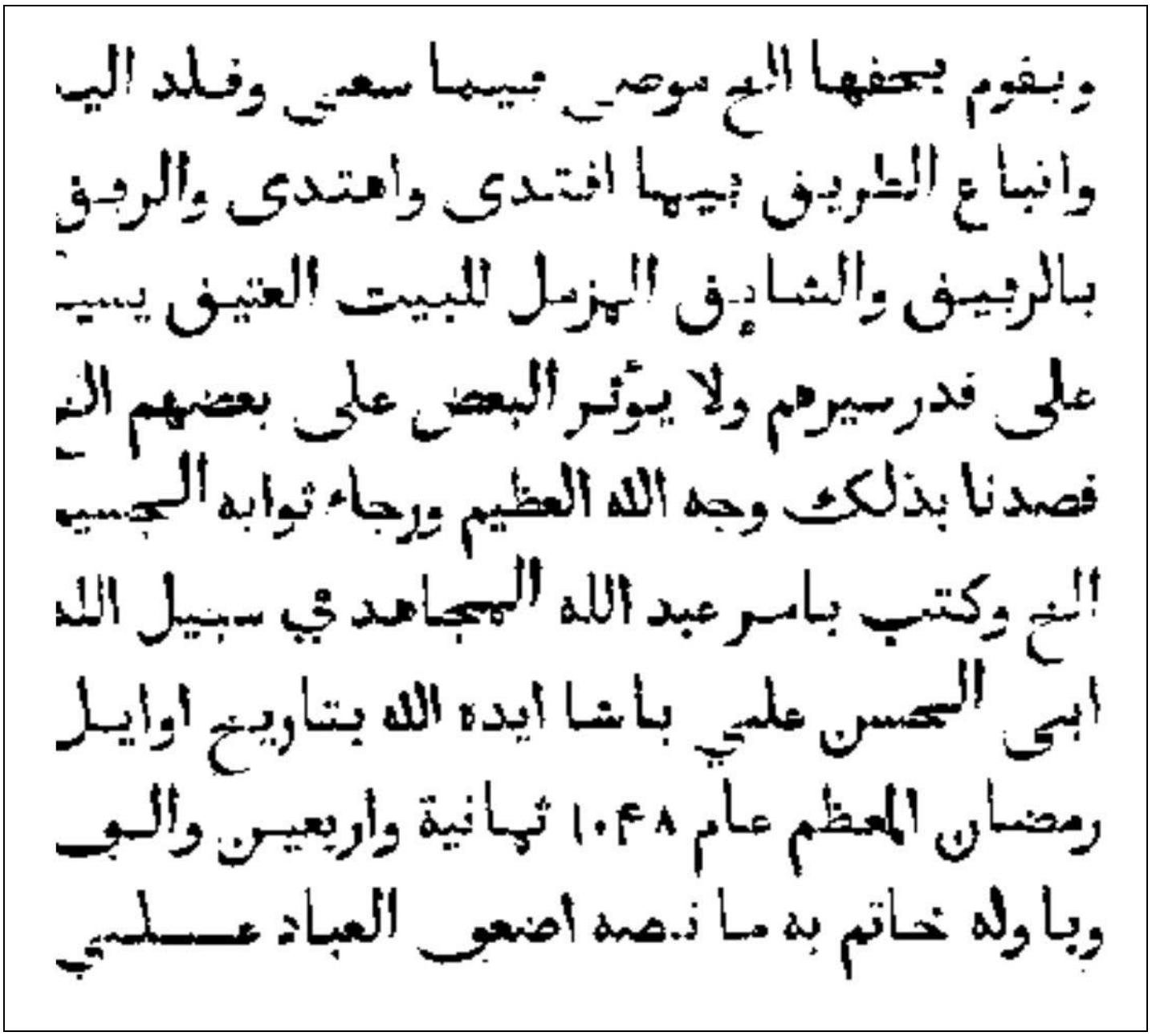


الملحق الثالث: الورقة الأولى من مخطوط "نوازل الفكون" لمحمد الفكون

الملحق الرابع : الورقة الأولى من مخطوط " نوازل الفكون " لمحمد الفكون، حسين بوخلوة، مرجع سابق، ص 162

(١)

الحمد لله * ليعلم من يغبى على هذا الامر الكريم
الخ من الفواد والعيال والخاص والعام ببلد قسنطينة
سدد الله الجميع وبعد فان الشيخ العالم القدوة
التقى الخ الناسك الابر النحرير المولى الخ البليغ
سيدي عبد الكريم الفكون دامت بتوفيق الله عنايته
ونفعنا ببركاته جددنا له على مقتضى ما بيده من
الاوامر فلما كان توجه للارض المشرفة وزار قبر
المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد استخارة الله
سبحانه وظهر له يتبع طريق امام التحقيق شيخ
الاشياخ العارف بالله المحقق المتبرك به
في الحركة والسكون سيدى احمد زروق نفعنا الله
ببركاته الخ واذنا له بضرب الطبل ويتوجه بالمسلمين
كما كان ويكون رفاس الرسول عليه الصلاة والسلام
لا مانعا له ولا معارض ولا مدافع الخ لانه احق بها


وبقوم بحفها الخ موصي فيهما سعي وفلد اليه
وانباع الطريق فيهما افتدى واهتدى والرفق
بالرفيق والشارق المزمل للبيت العتيق يسير
على قدر سيرهم ولا يؤثر البعض على بعضهم الخ
قصدنا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم
الخ وكتب بامر عبد الله المجاهد في سبيل الله
ابي الحسن علي باشا ايده الله بتاريخ اوايل
رمضان المعظم عام ١٠٤٨ ثمانية واربعين والف
وبا وله خاتم به ما نصه اضعف العباد علي

الملحق الخامس : وثيقة تولية عبد الكريم الفكون امارة ركب الحج سنة 1048هـ، ارنست مرسيه ، قسنطينة في القرن 16م ، "صعود عائلة الفكون"، قسنطينة 1979. ينظر: دراجي بلخوص، مرجع سابق، ص 17-18 .

الحمد لله * ليعلم من يقبو على امرنا الكريم من
الفواد الخ المتصرفين في الاحوال ببلد قسطينة الخ
اما بعد بان العفيه الاجل الخ اميركب المسلمين
ورفاس رسول رب العالمين سيدى عبد الكريم العفون
لما ان قدم الينا بمكتوب المعظمين المرضيين
جرحات باي ورجب باي على انهم وهبوا له
سوق الفواكي والخضروجميع داخله يكون بيد

السيد المذكور يصرفه في ضروريات الجامع ...
زيت واستصباح وحصر وغير ذلك واصلاح من
غير معارض له في ذلك ولا منازع ولا مدافع ....
هذا عمل من يقبو عليه والسلام وكتب بامر
عبد الله المجاهد في سبيل الله مولانا ابو الفلاح
مراد باشا ايده الله بتاريخ اوايل شوال عام
ستين والف * وباوله خاتم فيه مانصه اضعف
العباد مـــــــــــــــــــــــــــــــراد

الملحق السادس : وثيقة منح عبد الكريم الفكون مداخيل الخضر والفواكه ، مؤرخة في شوال 1060هـ ، ارنست مرسيه ، المرجع السابق ، ص 24، ص25 . ينظر: دراجي بلخوص، مرجع سابق، ص 348.

قائمة المراجـــــع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. ابن أبي ضياف أحمد: **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الشركة الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسي للنشر، تونس، 1976، دون ترقيم.**

2. ابن القنفذ أبي العباس أحمد القسنطيني : **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، تحقيق محمد الشاذلي النيفر الدار التونسية للنشر، تونس 1968م ،دون رقم الطبعة.**

3. أحمد بن المبارك بن العطار: **تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.**

4. عبد الكريم ابن الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تحقيق ابو القاسم سعد الله ، دار العرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987.**

5. الفكون عبد الكريم: **محدد السنان في نحور اخوان الدخان.**

6. الفكون محمد عبد الكريم : **نوازل الفكون.**

7. محمد بن محمد عمر العدواني: **تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.**

قائمة المراجع:

8. ارزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1830-1800، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2011.**

9. بوعزيز يحيى: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830 ، ديوان المطوعات الجامعية، الجزائر.**

10. حميد الزين: **الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: حميد حماود، جامعة سيدي بلعباس، 2011.**

11. الدراجي بلخوص: **الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون في القرنين 10-11 هـ/16-17م. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2019.**

12. الدراجي بلخوص: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايليك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16-17م (10-11هـ)، جامعة الجزائر 2 بلقاسم سعد الله، 2012.**

13. رمزي مشري: **"التخريج وأثره في الفتوى عند علماء قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون." مجلة الشريعة والاقتصاد 6.2 (2017).**

14. سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج.**

15. سعيدوني ناصر الدين والمهد بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.**

16. الشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني: **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ويليه روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة.**

17. عابد سمية، مخلفي أمينة: **"الأسر العلمية في مدينة قسنطينة أسرة عبد المؤمن- أسرة ابن الفكون أنموذجا." 2019.**

18. عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، ط1، 2005.**

19. علاوة عمارة، جميلة معاشي: **"أسرة الفكون شيوخ الإسلام وشيوخ بلد قسنطينة من عز العثمانيين إلى ذل الفرنسيين." مجلة الآداب والعلوم الإنسانية 8.2 (2013).**

20. عمار بوحوض: **التاريخ السياسي للجزائر، منذ البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 2005.**

21. فلة موساوي القشاعي: **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2008.**

22. قشي فاطمة الزهراء: **قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، دون ر ط.**

23. قويسم محمد: **مدينة قسنطينة ما بين القرنين 10-07 هـ/13-16 م، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، 2015.**

24. محمد مخلوف: **نوازل ابن الفكون لابن الفكون القسنطيني المالكي من كتاب النكاح إلى كتاب الغصب، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2018.**

25. المهدي شعيب: **أم الحواضر في الماضي والحاضر.**

26. بن عمراني يوسف، زيان العمري:**المدينة والريف في الجزائر خلال العهد العثماني 119 - 1836 - مدينة قسنطينة أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2020.**

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

27. Do. HAEDO : Histoire de rois d'Alger, traduit de HD de grammaire, Edition Grand d'Alger livres, Alger, 2004.

28. Etchiali Reda: l'épopée de Euldj Ali rais, le grand KELETCH Ali Pacha, 1507, Edition bouchene, France, 2002.

29. G Aide, Mouloud chronique des beys de Constantine, Office de publication universitaire, Alger

الرسائل والأطروحات:

1- حميد الزين: **الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2011.**

2 -الدراجي بلخوص: **الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون في القرنين 10-11 هـ/16-17م. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2019.**

3-عابد سمية، مخلفي أمينة: **"الأسر العلمية في مدينة قسنطينة أسرة عبد المؤمن-أسرة ابن الفكون أنموذجا." 2019.**

4- فلة موساوي القشاعي: **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2018**

قائمة المحتويات

الإهداء

مقدمة: 7

مدخل: الأوضاع العامة لبايلك قسنطينة 7

تمهيد:..... 7

1.الوضع السياسي، الثقافي والديني في قسنطينة:..... 8

1.1الأوضاع السياسية:..... 8

2.1الأوضاع الثقافية والدينية: 12

.2الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية: 15

1.2 الأوضاع الاجتماعية:.....15

2.2 الأوضاع الاقتصادية: 16

المبحث الأول: عبد الكريم فكون وعصره 22

تمهيد: 22

1. التعريف بالكاتب: 23

1.1مولده ونسبه:.....23

2.1تكوينه العلمي:.....24

3.1أهم مؤلفاته:.....26

.2التعريف بالكتاب: 28

1.2المحتوى:.....28

1.3أهميته في الجانب الاجتماعي:.....34

المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي من خلال المخطوط 36

تمهيد: 36

1.الفئات الاجتماعية: 37

1.1مجتمع البايلك: 37

2.1مجتمع قسنطينة وفئاته: 39

3.1بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في قسنطينة:.....40

2.الأسرة: 42

1.2تكوين الاسرة:.....42

2.2 التعليم:.....46

المبحث الثالث: الواقع الصحي في بايلك قسنطينة 52

تمهيد: 52

1.الأمراض والأوبئة في مجتمع بايلك: 53

2.أساليب وطرق العلاج والوقاية من الأمراض: 54

1.2 التداوي والعلاج بالأعشاب:.....56

2.2 التداوي والعلاج بالرقية:.....57

3.2 العلاج بمياه الحمامات: 58

4.2 زيارة المرابطين والصالحين: 59

5.2 العمليات الجراحية:.....60

خلاصة:.....62

خاتمة:.....63

قائمة الملاحق.....66

قائمة المصادر والمراجع 76

قائمة المحتويات.....76